

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ تمن المدد الواحد
الاعتمادات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد الزيات

الإدارة

بشارع عبد الميزر رقم ٣٦

العتبة الخضراء - القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العدد ٢٣٧ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٥٦ - ١٧ يناير سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

النشر في مصر

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

قرأت ما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام عن
« التأليف والنشر في مصر » . وقد روى فيه أن أحد أصحاب
المعالي وزراء الدولة في الحكومة القائمة دعا إليه جماعة من الكتاب
وحدثهم في تشييط التأليف في مصر ومكانة المؤلفين ووعده في
هذا وعوداً حسنة

وهذا صحيح ، فقد روى لي مثله صديق من الكتاب ،
ولا علم لي بما ينوي وزير الدولة أن يصنع ، وأحبه لا يزال
يستطلع الآراء ويستشير أهل الذكر في هذا ، فلندع له بالتوفيق ،
ولنسأله تعالى ألا يشغله بما هو أهم وأولى بناية وزراء الدولة ،
من شئون الدولة ؟ ولو كنت مكانه لكان حسي أن أستطيع
تنظيم أمور النشر على وجه صالح ونحو عادل ، ولتركت غيري
من الوزراء يحملون الأعباء الأخرى

وخلاصة التجارب في هذا الباب أن الأدب في مصر
لا يُعمل عليه في أمور المعاش ، وأن الأدب الذي ليست له صناعة
أخرى يرتزق منها ويحيا بها خليل أن يموت جوعاً . وقد كان
الرحوم السباعي يقول على سبيل المزاح : إن الأدب ينبغي أن

الفهرس

صفحة	
٨١	النشر في مصر ... : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٨٢	ليلي المريضة في العراق : الدكتور زكي مبارك ...
٨٦	سفارة ألمانية إلى بلاط قرطبة : الأستاذ محمد عبد الله عتار ...
٨٨	الفهم الفلسفي للثورة على الأخلاق ... : الأستاذ عبد العزيز عزت
٩٢	فلسفة التربية ... : الأستاذ محمد حسن طاطا
٩٤	بين القاهرة واستنبول : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٩٥	من برجنا الماسي ... : الأستاذ توفيق الحكيم
٩٦	جيتا نحالي للشاعر الفيلسوف طافور ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٩٨	أبو اسحاق الصابي ... : الأستاذ عبد العظيم على قناوي
١٠١	علاقة الدين بين الرب والعين ... : بقلم بدر الدين الصبني ...
١٠٣	هكذا قال زرادشت : الأستاذ فليكس فارس ...
١٠٦	عروس الماء (قصيدة) : الأستاذ إبراهيم الميريس
١٠٧	قتل الأديب ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
١٠٩	ما بعد الطبيعة ... : السيد محمد حسن البقاعي ...
١١٢	أحلام فضية (قصة) : الأستاذ درويش خشة ...
١١٦	العربية والإنجليزية ...
١١٧	هل كانت القيوم منزل شعب من الجحر الجعري ...
١١٨	جائزة فاروق الأول : لجنة تنظيم الصحافة ...
١١٨	مهرجان الأدب في الزفاف الملكي - المؤتمر الدولي السابع لتوحيد قانون العقوبات - معهد التعاون الفكري وشعبته في مصر - حول جائزة جونسون ...
١١٩	السبيل والأدب ... : بقلم محمد علي ناصف ...

وجربت أن ينفق غيري على طبع كتيبي ويتولى نشرها
ثم تتحاسب ، فوقع لي ما يضحك وما يبكي . وأحب أن أستثنى
طائفة من الجادين المخلصين ، وأقول بعد ذلك إن بعضهم نشر لي
كتاباً طبع منه أربعة آلاف نسخة نفذت كلها في عام ، وشرع
يطبع لي كتاباً ثانياً ، فقلت أحسبه ، وطلبت منه نصيبى ، فكان
جوابه الطريف أن دح الكتاب الأول فما أعرف أين ذهب ،
ولعله سرق أو حرق ، ولنقص الحساب - في أوانه - على
الكتاب الثانى إن شاء الله !

فقلت له : يا أخى غفر الله لك ! هل حسبتنى هاوياً ؟ أم ظننت
أنى بائع كوارع ؟ إن هذه صناعتى وهى مرتزقى ، فإذا لم آخذ
حقى فكيف بالله أعيش ؟

فاقسم وريت لي على كتنى ملاطفاً ، وقال : « الغفر ! الغفر !
يا أستاذ ، لا تقل هذا الكلام ! سبحانه الله العظيم ! »

يعنى أنه لا ينبغي لي أن أقول إن هذه صناعتى ومرتزقى !
ويظهر أنه كان صادقاً وكنت أنا المخدوع ، فقد عشت من غير
أن آخذ منه حقى - ولا نصف ملجم واحد منه !

وينفذ الكتاب - عدة آلاف من نسخه - ثم يبين لك
أن الاسكندرية أو طنطا أو النيا تسمع به وأنت ما بيع
بيع معظمه في مدينة واحدة هى العاصمة ، والباقي رص في
الصناديق وشحن على البواخر إلى الهند والعراق ومدغشقر الخ
وتجيك الكتب تترى بذلك ، فتعلم أن النشر غير منظم ، وأنه
كان في وسعك أن تخرج للناس من كتابك أضعاف ما أخرجت
لو أن هناك نظاماً

والعلاج عندي ليس أن تمين الحكومة الأدباء ، فإن هذا
يفضى إلى الظلم والغب ، ولكل حكومة من تؤثرهم بمطعمها وبرها ؛
والأدب ينبغي أن يبقى حراً ، وإلا فقد ، وتمن . ولو أن
الحكومة أرادت الإنصاف وسدقت نيتها فيه ، لوجدت أن
الأمريوشك أن يفشو عليها ، والنتيجة الحقيقة على كل حال هى
التمييز والغمط

إنما العلاج الصحيح المولى أن تقوم شركة ذات رأس مال
كاف تتولى النشر ، وتنظم أسواقه في البلدان العربية كلها ،
وترتب الأمور فيما بينها وبين الصحافة على نحو يكفل التنويه الوافى

يكون أدبياً وشيناً آخر ... طبالاً ، أو زماراً ، أو عواداً ،
أو غير ذلك مما يجرى مجراه . والذي كان يقوله هازلاً . هو الجدل
الصميم . ودع الطبل والزمر وما إلى هذا فما كان يريد إلا السخرية
والنكتة ، وكانت المزاولة التى يحسها في نفسه تفيض على لسانه
على هذا النحو . على أن الواقع مع ذلك أنه لا غنى للأدب في
مصر عن مرتزق غير الأدب ، يجعل معتمده بعد الله عليه . وما
أعرف في هذا البلد أدبياً وسعه أن يجترى بالأدب ؟ ولو كان هذا
سما يدخل في الطاقة عندما كنت من أحق الناس بالقدرة عليه
وكلام فارغ كل ما يقال عن الحرفة وإدراكها للأدب ، فما
تفعل ذلك إلا في مثل بلادنا ، وحتى أدباء العرب وشعراؤهم لم
يدركهم شئ من الحرفة ، وإنما كانوا هم أحماتين ، إلا إذا كان
المقصود أن يلاء الحرفة من النفس ؛ على أن هذا مبحث آخر ،
قد نمود إليه في فصل آخر

وقد جربت كل وسائل النشر في مصر ، وانتهيت إلى أن
الأمري لا يتقصه سوى التنظيم . ففي مصر والبلاد العربية الأخرى
عدد كاف من القراء يستطيع الكاتب أو الشاعر أن يمول عليه
وهو مطمئن إليه ، ولكن من المبت والتنت أيضاً أن نجسم
الأدب فوق عمله أن يقوم بأعباء الطبع والنشر ، وأن تتوقع أن
يجنى من كل هذا المتأمر بحك عادلاً . وليس لهذا الحل من نتيجة سوى
الاضطراب وفقدان الحقوق . وقد جرب كل أدب في مصر أن
يتولى هو هذه الأعباء جميعاً وأن ينهض وحده بها جملة ، فأخفق .
وليس الإخفاق ألا تجنى شيئاً ، بل أن تجنى كل شئ ولا تسمر
أنك جنت شيئاً . ولا أذكر هنا ما جرب غيري ، فبحسبى
ما جربت ، وقد نشرت كتباً توليت أنا أمر طبعها ونشرها ،
ونفذت في زمن معقول ، ولكن أصحاب الكتاب يختلفون ،
ولا سبيل إلى الاستغناء عنهم ، وفيهم الأمين ذو اللمة ، وفيهم
الطامع الشهوم الذى لا يشبع ولا يرضيه إلا أن يخطف كتبك
بغير إذن . ومع ذلك لا يسمى إلا أن أعترف بأنى ربحت ، وإن
كنت لم أشعر بذلك ولم أر له أدنى أثر في حياتي . وإذا حسبت
الحساب على الورق وأحصيت ما أنفقت وما حصلت كانت النتيجة
أنى جمعت مبالغاً من المال لا يستهان به ، ولكنه مال على الورق ،
لأنى أنفقت جنهات رجعت إلي قروشاً مبعثرة ذهبت إلى الشيطان

ليلي المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

- ٦ -

الحجب من سرائر النفوس ... أنهدت تلك السيدة على المقعد ، وبدأت أحاورها في ماضيها لأعرف سرّ العلة ، فما كادت تقرأ السطر الأول من صحيفة ذلك الماضي حتى تَلَّارَ صوابي ، فوضت ينها على صدرى ، ولكن الشقية لم تَهملنى وأفلتت كالطلي المذمور . وبذلك طوى عني سرها إلى الأبد . وكانت تلك الحادثة سبباً في انتقالى من شارع المدايح إلى شارع فؤاد

وما أحسب ظمياء إلا صورة من السيدة (ن) وربما كانت أظنع وأعنف فهي عراقية ، والعراقيون تغلب عليهم سرعة الانتقال ؛ والرأفة العراقية فيما سمعت ورأيت لا تسكن إليك إلا إن ضمنت حسن الأدب وكرم العفاف ، وهى عندئذ لا تحتاج إلى من يستدرجها لمسول الأحاديث ، وإنما تنطلق كالبحر التجاج ؛ فإذا ارتابت في أدبك ... لا أدري ما تصنع فإن الله رحيم من أمثال هذه المواقف منذ قدمت العراق ، وهو عز شأنه قادر على أن يردنى إلى وطنى مُشرق الجبين

وجلة القول أنى تجللت وتماسكت ، فضت ظمياء تتحدث ، ومضى الطر يقرع النوافذ كأنه عذول ، وبين القلب الخافق والسحاب الدافق صلات يعرفها من يؤمنون بوحدة الوجود — ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم وقف قطار المرض ، فلم تنزل ليلي ولم ينزل الفتى ذو السنين الخضراوين . ودار القطار دورة ثانية قطعها في ذهول — وأنت أيضاً تحيين يا ظمياء ؟

— ألسن إنسانة ، يا سيدى الطبيب ؟ (وهنارأت من الحزم أن أعلن تراهمنى ، فأفهمتها أنى أنكر عليها هذه البدوات ، لأن الذى يهمنى هو الوقوف على سرليلي ؛ وأشهد أنى لم أجد صعوبة فى اصطناع هذا النفاق ، فقد صرنت عليه بفضل ما ابتليت بالنفاقين الذين تقدموا وتأخرت . ويكنى ما مر بي من التجارب ، وأخشى أن تقنعنى الأيام بأن النفاق سيد الأخلاق)

— أنت يا مولاي طلبت أن أقص الحديث كما وقع — كما وقع ليلي ، لا كما وقع لك يا ظمياء ، فأنت فى عافية وليلي هى المريضة ، والحكومة المصرية لم تكلفنى استقصاء أخبار التميمين فى العراق ، وإنما كلفتني مداواة ليلي المريضة فى العراق

وما كادت ظمياء تفوه بالعبارة الأخيرة حتى ابتدأت أوقن بأن ساهتدى إلى سرّ ليلي . وقد عرفت أيضاً أنه لا بد لى من التجميل والتوفر حتى يصل الحديث إلى مداه ، فقد قضيت دهرى وأنا أرمعن أهوج لا أكاد أسمع الحديث عن الحب حتى يفتضح وقارى أشنع اقتضاح . ولن أنسى ما حيت تلك الخسارة الفادحة التى قضت بأن يطوى عني إلى الأبد سر السيدة (ن) فقد كانت عرفت من صواحبا أن شفاءها عندي ، وجاءت الشقية إلى عيادتي بشارع المدايح ، فلما فحصتها تبين أن العلة لماسب مدفون ، وكنت بحمد الله لا أزال من أقدر الأطباء على تفرس

فى أوانه ، وقد استطاعت دور السينما أن تنظم علاقتها بالصحافة على وجه مرضى ، فلن تعجز عنه دار للنشر . وبذلك يستريح الكتاب ويطمثون على حقوقهم ، ويشقون بسمة النشر ويوقنون من إمكان التمديد على ما يخرجون كما يفعل زملاؤهم فى الغرب وفى هذه الحالة يتسنى ما لا يتسنى الآن : الطبع الجيد ، والحجم المواقف ، والريح الضمون ، ومع ذلك انتظام عمل الأدب وإراحة النفس الكافية من الوقت للتفكير والكتابة والإلتقان هذه — فيما أعتقد — هى الوسيلة العملية ؛ فإن الأسواق موجودة ، والقراء يمدون بالآلاف فى كل قطر ، والصحافة أداة وافية : فالأمر لا ينقصه إلا التنظيم ؛ وهذا لا يكون إلا بالمال الكافى ، فهاتوا لى المال ، ثم انظروا ماذا أصنع لكم يا إخوان ؛ ولا تخافوا أن أبدده . نعم . ستحدثنى نفسي بذلك وتحاول أن تهملى عليه ، ولكنى سأقاومها ، وسأروض نفسي على هذه المقاومة من اليوم ، فلا تخشوا شيئاً ، ولا تقلقوا على مالكم ، ومع ذلك فلأن أبدده أنا خير من أن نصيموه أنتم . ومتى كنتم تحسنون الإنفاق ؟

إبراهيم عبد القادر المازنى

— فهمت ياسيدى فهمت

— زين ، زين ، ثم ماذا ؟

— ثم وقف القطار فتلاحظ العاشقان

— عاشقان ؟ وهل يتم المشق في لحظة ؟ هل نحن في السينا

يا ظمياء ؟

— وقع التلاحظ بين ليلي وبين ذلك الفتى ، والتعبير بالمشق

من عندى

— شيء جميل ! في أية مدرسة تعلمت يا ظمياء ؟

— في المدرسة التي تعلمت فيها ليلي ، وهي المدرسة التي

أنشأها حكمت سليمان في سنة ١٩١١ بعد إعلان الدستور العثماني ؛

وكان حكمت سليمان مدير المعارف في بغداد ، وكان تعليم الفتاة

في تلك الأيام من المسائل التي يختلف حولها الملوك ، فكانت

ليلى أولى فتاة قيّد اسمها في تلك المدرسة

(وهنا دونت في مذكري أن ليلي قديمة العهد بالثورة على

مأثور التقاليد ، وهذه نقطة مهمة سأعرضها على المؤتمر الطبي ،

ولعلها تكون السبب في كشف كثير من الأسرار ، فالثورة

على التقاليد تحدث رجّة في المخ والأعصاب ، كما حدثنا المسيو

ديويه وهو يحاضرنا بكلية الطب في باريس ، وهو أستاذ فاضل

كنت السبب فيما وقع بينه وبين زوجته من شقاق)

— وهل درتم بالقطار دورة ثالثة ؟

— لا ، ياسيدى ، فقد خشيت ليلي أن تظن إليها العيون

فزلت وزل الفتى ، ولكنه أقبل عليها يقول : هل أستطيع أن

أرشد السيدة إلى محتويات المرض ؟ فإني أراها غريبة بهذه

البلاد ؟ ولكن ليلي لم تلتفت إليه ، وانصرفنا ساكتين . وعرف

الفتى أن سهمه أخطأ فضى كسف البال

— وبعد ذلك ؟

— مضينا بعد ذلك إلى البيت الذي زلنا فيه بشارع قصر

النيل ، وكان الحديث على المائدة من أشهى ما يكون ، فقد كانت

الجراند نشرت حديثاً لرجل مشهور اسمه سعد زغلول ، وكانت

ربة البيت تحب إمتاعنا بصور الجدل السياسى في مصر ،

فأحضرت نحو عشرين جريدة فيها الرفض والقبول لذلك

الحديث ، ثم أحضرت صورة كاريكاتورية نشرت في الكشكول

لكاتب معمم اسمه عبد العزيز البشرى فيما أتذكر ، وصورة أخرى

للشيخ بخيت وهو يعترض على دخول السيدات أروقة البرلمان ،

كان الجو كله جو ضحك ، ولكن ليلي لم تبسم . ولعلها لم تعرف

كـ . كان الطعام في ذلك اليوم

— مسكينة ليلي !

— نعم ، ياسيدى ، مسكينة ، فقد قضت ليلة مؤرقة ، ثم

أزعجتني من نوى قبيل الفجر لأستعد للعودة إلى المرض

— ورجعنا إلى المرض ؟

— رجعنا ، رجعنا ، وركبنا القطار عشرين مرة

— عشرين مرة ؟ ولماذا يا حقا ؟

— لنرى الفتى ذا العينين الخضراوين !

— ورأيته ؟

— مارأيته ، وإنما رأيته أنفصر منه وأصبح ، رأيته فتينا

كاللؤلؤ المشور هم الشاهد على أن مصر من الحقول التي تُنبِت

الجمال . وقد أمتعت عيني بمن رأيته ، ولكن ليلي ظلت صريعة

الهم والبلبال

— مسكينة ليلي !

— هل تسمح لى أن أطم ياسيدى ؟

— تلطمين ؟ إنك لبغدادية ظريفة يا ظمياء . ما يهمنى أن

تلطمى ، وإنما يهمنى أن أسمع بقية الحديث

— لم تكن ليلي تقول إنها ترجع إلى المعرض لتبحث عن ذلك

الفتى ، وإنما كانت تدعى أنها تحب الوقوف على سرّ تقدم الزراعة

والصناعة في الديار المصرية . وحملها هذه الدعوى المزيفة على

شراء عدة نماذج مما أنتجته حقول سملاى ، وهي النماذج التي

عرضها السيد محمد محمود

— سمعت بمروضات هذا السيد يا ظمياء

— وكنت ليلي مقالة في وصف المعرض نشرتها في جريدة

« البلاغ »

— سبحان الله ! لقد قرأت تلك المقالة في ذلك الحين وكنت

أحسبها من إنشاء ليلي الصحيحة في حلوان

— لا ، ياسيدى ، هي من إنشاء مولاتى ، شفاها الله !

— آمين ، ثم ماذا يا بلهاء ؟

نجله ، ونظرت ليل إلى تلك الفتاة فلم تر عينها خضراوين ، وإنما رأت عيونها عسليه ، وهو اللون الناب على عيون المصريين ، وهو لون ينطق عن السحر الحرام والحلال .

— اتق الأدب يا ظمياء ، فأنت في حضرة طبيب !

— الطبيب يسمع كل شيء !

— أمنت وصدقت !

— ومضت درية تباعم أمها باللغة الفرنسية . فسألت عنها

فقال إنها تلميذة بمعهد اللبسيه

(وهنا أجهدت ذاكرتي لأعرف من هي تلك التلميذة ، ثم تذكرت أنني لم أتصل بمعهد اللبسيه إلا في سنة ١٩٢٨ والمجد لله على ذلك ، فما يسرنى أن تكون تلميذاتي محورا لأمثال هذه الأحداث)

— نعم يا ظمياء

— وبدا ليلي أن تسأل عن السر في اختلاف ألوان العيون ،

فأجابت السيدة نجلاء بأن درية صوورة لأبها الشيخ دعاس ؛ أما ابنها فهو صورة أمه اللبنانية . فقالت ليلي : وهل اللبنانيون خضر العيون ؟ فأجابت السيدة : أما لبنانية الموطن ، تركية الأصل . فقالت ليلي : ومعنى هذا أن لك ابناً أخضر العينين ؟ فقالت السيدة : نعم ، وهو المحروس عبد الحسيب ، وهو طالب

بمدرسة البوليس ، وسيحضر بعد قليل

زكي مبارك

« للحديث بقايا »

إلى المشتركين في خارج مصر

يطلب كثير من قراء الرسالة والرواية من الطلاب في خارج مصر أن يشتركوا فيها بالقيمة التي يدفعها الطلاب والمعلمون الالتزاميون في داخل القطر ، ويفوتهم أن يضيفوا إلى ذلك فرق أجور البريد بين الداخل والخارج وهو عشرون قرشاً مصرياً للرسالة وخمسة عشر قرشاً للرواية فيكون الرقم الصحيح كما يأتي ٥٥ + ٣٥ = ٩٠

فترجو الإدارة أن يراعوا ذلك حتى لا تضطر إلى إغفال

(الإدارة)

طلبتهم

— قلت إن ليلي كانت تتردد على المرض بدعوى الاطلاع على أسباب تقدم مصر في الزراعة والصناعة ؛ أما أنا فكنت أعرف ماذا تريد ، وقد استمرت هذه الدعوى أسبوعين ، ثم بيئت ليلي بما تريد ، فلم تذهب إلى المرض بعد ذلك — وبهذا انتهت القصة ؟

— لا يا سيدي ، فقد زعمت ليلي أنها شجعت من المرض ، وشجعت من الأخبار الحديثة في القاهرة ، وصرحت بأنها تحب أن ترى القاهرة المعزية ، عليها ترى ما يذكروها بأحياء بغداد ؛ فصحبنا ربة البيت إلى حي يسمى التورية ، فدخلنا الحزاوي والنحامين ، وشهدنا حارة اسمها وكالة (أبو زيد) وفيها تجارة السيد (... ..) الذي يبيع أدوات السمعة للسيدات ، فوقفنا ليلي عنده لحظة ، ثم انصرفت . وفي خان الخليلي رأينا سيدة ملفوفة كأنها من عتائل بغداد ، فحينا على غير معرفة ، فردت ليلي التحية بلهفة واشتياق . وأجبت أن أعرف سر هذه الخامسة من ليلي ، فنظرت إلى تلك السيدة فرأيت عينيها خضراوين !

— أعوذ بالله !

— تستعبد بالله يا سيدي من ذلك ؟

— نعم ، أستعبد بالله من شر العيون الخضر ، فهي سبب بلائي في هذا الوجود . ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم عرفت تلك السيدة أن تصحبنا لزيارة معالم القاهرة وقالت إن زوجها أستاذ في الأزهر وأنه ينتظرها عند العلم حسين الجريسي ، ونظرت فرأيت ليلي تمنى وهي تنموى من الانشراح كأنها تلخ من وراء القيب أعلام الأمل المرموق وما هي إلا لحظات حتى كنا في حضرة شيخ جليل اسمه

الشيخ دعاس

— الشيخ دعاس ؟

— نعم يا سيدي ، الشيخ دعاس ، وهو الذي أنجب أحمد وإبراهيم وجبلي وسيد ومحمود ، وهم زينة الرجال في بلاد النيل — رضى الله عنهم أجمعين ، ثم ماذا ؟

— ثم تعلم ذلك الشيخ بمنيق الوقت ، ودعانا إلى تناول القهوة في منزله ، فركبنا سيارته ومضينا إلى داره في حي الزملاك . ولما دخلنا أبصرنا فتاة هي قيد العيون ، بل قيد القلوب ، اسمها درية ، فسألنا عنها فعرفنا أنها ابنة الشيخ دعاس ، وابنة السيدة

سفارة المانية إلى بلاط قرطبة

في عهد عبد الرحمن الناصر
للأستاذ محمد عبد الله عنان

في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كانت أسبانيا المسلمة (الأندلس) قد بلغت ذروة قوتها ؛ وكانت إلى جانب الدول النصرانية الثلاث : الدولة البيزنطية ، ومملكة الفرنج ، والإمبراطورية الألمانية ، رابعة الدول الأوربية العظمى ؛ بل ربما كانت يومئذ أعظم الدول بما اجتمع لها من عناصر الفتوة ، ومنعة الجانب ، وروعة الملك ، ورفيع الحضارة . كانت حقبة زاهرة ، تماقبت فيها في قيادة الغرب الإسلامي ثلاثة من أعظم قادة الإسلام وساسته ، هم عبد الرحمن الناصر ، فولده الحكم المستنصر ، ثم الحajib المنصور . وكان عهد الناصر بلارب أسطع هذه العهود وأعظمها ، وفيه بلغت الأندلس ذروة القوة والازدهار ، وفيه قامت الخلافة الأموية في الغرب قوية موطدة ، بعد أن اختفت من الشرق قبل ذلك بمائة وثمانين عاماً . وكانت قرطبة في عهد الخلافة الأموية عاصمة الغرب الفكرية والاجتماعية ؛ وكانت في الطرف الآخر من أوروبا تبت أضواء حضارة جديدة لم تلبث أن لبست دورها العظيم في تكوين الحضارة الأوربية

وقد تيوأت أسبانيا المسلمة مركزها الدولي في الغرب . كان بلاط قرطبة يرتبط مع معظم الدول الأوربية بعلاقات دبلوماسية منتظمة ؛ وكان أخص هذه العلاقات مع الدولة البيزنطية في الشرق ، ومملكة الفرنج في الغرب . ومنذ عهد عبد الرحمن بن الحكم (عبد الرحمن الثاني أو الأوسط) نرى سفارات الدول النصرانية تتوالى على بلاط قرطبة ؛ وكان أهم هذه السفارات يومئذ سفارة تيوفيلوس إمبراطور قسطنطينية في سنة ٢٢٥ هـ (٨٣٦ م) ومقصدها أن تعقد الدولة البيزنطية مع الدولة الأموية تحالفاً على الدولة العباسية ؛ ورد عبد الرحمن على هذه السفارة بأن أرسل وزيره يحيى النزال سفيراً إلى الإمبراطور لينظم بينهما علاقات

الصداقة والتحالف . وتبادل عبد الرحمن بن الحكم أيضاً السفارة مع ملك النورمانين عقب الفزوات التي قام بها النورمانيون في الأندلس ، وانتهت بردهم وهزجهم

وفي عهد عبد الرحمن الناصر توالى سفارات الدول النصرانية على بلاط قرطبة ، وكان أشهرها وأهمها سفارة قسطنطين السابع إمبراطور قسطنطينية في شهر صفر سنة ٣٣٨ هـ (٩٥٠ م) . وتقدم إلينا الرواية الإسلامية وصفاً شائفاً لتلك السفارة الشهيرة ، وتصف لنا احتفال الناصر باستقبالهم في أروع المظاهر والرسوم ، وتنقل إلينا أقوال الخطباء المسلمين في ذلك الحفل الباهر

وفي سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٦ م) وفدت على الناصر سفارة من أوتو الكبير إمبراطور ألمانيا ؛ وكان يومئذ أعظم أمراء النصرانية كما كان الناصر أعظم أمراء الإسلام . وكان بين المسلمين العظميين علائق ومراسلات منتظمة ، بيد أنها لم تكن ودية دائماً . ولا تحدثنا الرواية الإسلامية عن سفارة أوتو (أو أوتون) إلى الناصر بأكثر من الإشارة إليها ؛ بيد أنها كانت سفارة هامة ، وكانت ذات غاية خاصة وذات منزى خاص . وكان سفير الإمبراطور إلى الخليفة حبراً من أكابر الأحرار هو يوحنا أسقف جورنسي . وترك لنا يوحنا تفاصيل سفارته في ترجمة حياته (Vita) وخلاصتها أنه سار إلى قرطبة ليسعى لدى الناصر في أمر المستعمرات والمعصيات المسلمة التي انتشرت في أنحاء ساقوا ، وفي كثير من آكام الألب . وكانت غزواتها الناهية تمتد حتى شمال سويسرة ، وكان أمراء النصرانية التي تهدد هذه المستعمرات أملاكهم وديارهم قد فزعوا إلى الإمبراطور أوتو باعتباره زعيم النصرانية وأقوى أمراءها ، وطلبوا منه أن يتوسط لدى خليفة المسلمين عبد الرحمن الناصر فيستعمل نفوذه السياسي والروحي لإجلاء هذه المستعمرات عن معاقلها أو على الأقل لوقف اعتدائها وعبثها . فزل الإمبراطور عند تضرعهم وبعث سفيره إلى الناصر ، فقصد يوحنا إلى قرطبة عن طريق فرنسا ، ومعه طائفة من التحف والهدايا طبقاً لرسوم العصر . ولما وصل إلى دار الخلافة استقبل بحفاوة كبيرة ، وأُزيل في منزل خاص ؛ ولكنه لم يقدم إلى الناصر في الحال ، بل استبقى مدي حين في شبه اعتقال محوطاً بالأكرام والرعاية ؛

وزعماء القبائل من العرب . وكان من آثار هذه السياسة أن جعل الناصر بطاقته من الصقالة المستعربين ، ورنج كثيراً منهم إلى مناصب النفوذ والثقة في الحكومة وفي الجيش . وكان الناصر يخشى منافسة الرؤساء ذوي العصية ويقتصبهم عن كل نفوذ ، ويخضعهم لهؤلاء الصقالة الذين اتخذهم في يده آلات طائفة تعبر عن خططه ورغباته . وكان لهذه السياسة أثرها في توطيد سلطان العرش ، والقضاء على سلطة الزعماء المحليين ، وعلى مطامع الرؤساء المتطلعين ، ولكنها كانت من جهة أخرى خطراً على العرش إذ عرضته لسطخ الأشراف والزعماء العرب ، وخطراً على الجيش إذ كان سواد ضباطه من العرب الذين يعتزون بمصيبتهم ويسوءم أن تضار هذه المصيبة ويمتد على . وظهر أثر هذه السياسة في أواخر حكم الناصر إذ ظهرت أعراض الوهن والانحلال في الجيش ؛ ثم ظهر خطرهما على العرش فيما بعد إذ غدا عريضة لمطامع المتطلعين والمتنافسين

تلك هي قصة هذه السفارة الشهيرة التي وجهها الإمبراطور أوتو الكبير إلى عبد الرحمن الناصر ، وتشير الرواية الإسلامية إليها في عبارات موجزة^(١) مما يدل على أنها لم تفتن إلى أهميتها السياسية والاجتماعية ، ذلك لأنها كانت سفارة من نوع خاص ، ولم تكن متعلقة بالشئون والملائق الدبلوماسية العامة ، ولم تكن الإمبراطورية الألمانية الناشئة مشهورة في بلاط قرطبة شهرة الدولة البيزنطية أو مملكة الفرنج ، ولكن التفاصيل الشائقة التي تقدمها إلينا الرواية الكنسية تدل بأهميتها وطرافتها ، وأول ما ندل عليه ما كان لبلاط قرطبة في عهد الناصر من الهيبة والنفوذ حتى في دول كالألمانيا لم تكن تربطها بالأندلس مصالح أو علائق دبلوماسية مباشرة ؛ بيد أن أهم ما تدل به هذه السفارة هو صفة الزعامة والإرشاد التي كان يبدو بها بلاط قرطبة ، فقد رأينا الناصر يلقي درساً في السياسة والإدارة على الإمبراطور أوتو ، وهي صفة كان في ظروف الأندلس يومئذ ما يبرر اتخاذها ، فقد كانت الأندلس عندئذ في أوج قوتها وعظمتها ، وكانت حكومة قرطبة في نظمها السياسية والإدارية والاجتماعية نموذجاً لأعظم

وبوضح لنا يوحنا بواعث هذا الاعتقال فيقول لنا : إن الخليفة كان يحقد على الإمبراطور لأنه كان قد تعرض للإسلام في بعض كتبه إلى الناصر ، واعتقل مدى حين سفيراً نصرانياً كان الناصر قد أوفده إلى بلاطه ، فرأى أن يقابل تصرف الإمبراطور بمثله ، ويعتقل سفيره أعني يوحنا حتى يتحقق من عواطفه ونياته . وبعث الناصر إلى الإمبراطور سفيراً ، واختار لهذه السفارة نفساً من رعاياه النصراني اتباعاً لتقليد جرى عليه الخلفاء في معظم سفاراتهم إلى القصور النصرانية . وكان أوتو يومئذ مشتتاً ببعض الحروب الداخلية ، فأبدى تساهلاً في قبول وجهات نظر الخليفة ، ولم يثر من المجادلات ما اعتاده أن يثيره ، وأكد صداقته لخليفة المسلمين . وعاد السفير إلى قرطبة يحمل إلى الناصر تحيات أوتو وتأكيده الودية ، فارتاح الناصر لهذه النتيجة ، وأذن باستقبال يوحنا سفير الإمبراطور . واستقبل يوحنا استقبالاً فخماً ظهرت فيه عظمة البلاط الأموي ، وتحدث إلى الناصر عن مهمته وغاية سفارته . ولسنا نعرف ماذا كانت نتائج هذه السفارة ، لأن يوحنا لم يتحدثنا عن ذلك في روايته ؛ ولكن المرجح أن وجهة النظر التي أبدتها حكومة قرطبة هي أنها ليست لها أية علاقة بالمستعمرات العربية في غاليس وسويسرة ، وأنها لا تتحمل تبعه أعمالها ، ولا تستطيع أن تتدخل لديها . وهو استنتاج يؤيده سميت الرواية العربية عن ذكر أخبار هذه المستعمرات ، مما يدل على أن حكومة قرطبة لم تكن تفتي كثيراً بشأنها ، وإن كانت بلا ريب تنظر إلى غزواتها في الأراضي النصرانية بعين المعطف والتأييد

على أن الرواية الكنسية من جهة أخرى تحدثنا عما أفضى به الناصر إلى يوحنا من الملاحظات السياسية والإدارية ؛ فقد بسط ليوحنا خططه في السياسة العامة ، وأهمي باللائمة على الإمبراطور أوتو لأنه يضع ثقته في أشرافه ؛ ومثل هذه السياسة لا تريد الأشراف إلا غروراً ، ثم تنتهي بهم في أواخر الأمر إلى العصيان والثورة . ولهذا الملاحظة السياسية التي نوردتها الرواية الكنسية عن الناصر أهمية خاصة ، وهي ليست إلا صدى لسياسة الخلافة الأموية وسياسة الناصر ذاته ؛ ذلك أن الناصر كان يعتمد في تنفيذ سياسته على طبقة الموالي والصقالة ، ولا يثق بالأشراف

(٢) راجع فتح الطيب ج ١ ص ١٧١ وابن خلدون ج ٤ ص ١٤٤

الفهم الفلسفي للتثورة على الأخلاق للأستاذ عبد العزيز عزت

سيدى الأستاذ الزيات

قرأنا بإعجاب فى الرسالة الثراء ما كتبتموه ، وما سطره
أساتذة الأدب العربى فى الثورة على الأخلاق ، فأكبرنا فيكم
نزعكم إلى تأييد الفضيلة بهذا الأسلوب . وقد لاحظت بجوار
ذلك غياباً نسبياً للفهم الفلسفى فى ذلك الحوار الأدبى ، مع أن
الموضوع يمت إلى صميم الفلسفة بصلة وصلات . لهذا دعاني
الواجب الفلسفى أن أحرر هذه الكلمة لعلها تلقى بعض الضوء
من هذه الناحية على هذا الموضوع :

فهم بعض الناس فى مصر الثورة أنها النزاع بين وجهتى
نظر متناقضتين ؛ فهناك أنصار القديم ، وهناك المجددون ؛ وهناك
رجال الدين ، وهناك « المستغربين » ؛ وهناك أصحاب الفضيلة ،
وهناك « الستردلون » . نزع « الثنية » هذه Dualisme

وأرق حكومات العصور الوسطى ؛ وكانت الحضارة الأندلسية
فى سائر نواحي الحياة العامة والخاصة مضرب الأمثال فى الروعة
والبهاء ؛ وكانت تبراساً تمتد أضواءه إلى أقصى أوروبا ؛ وكان
للزهراء عاصمة الناصر وبلاطه فى الأمم الشمالية شهرة سحرية ،
حتى أن الراهبة الإسكسونية هروسويتا تننت بجلالها وروعتهما فى
قصائدها اللاتينية وأسماهما « زفة الدنيا » (١)

والخلاصة أن عظمة الأندلس يمكن أن تقرأ فى هذه الصفحات
الطوية من تاريخ العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الأمم الأوروبية
أكثر مما تقرأ فى تاريخها الخاص ؛ فى هذه الصفحات نجد
صوراً كثيرة مؤثرة من ذلك الاجلال الذى كانت تفرسه الأندلس
إبان عظمتها على أمم الغرب والشمال

محمد عبد الله عنانه

(١) دوى - (الطعة الأولى) ج ٣ ص ٩٠ - ٩١

فى تصور الشيء وضده ، هي نزع « حرية » لا تلقى بطبيعة
التفكير جرتها علينا من بعيد الحضارة الفارسية التى يمورها
منه زرادشت Zeroastre فى كتابه الأفستا Avesta الذى
يقول بتنازع قوة الشر « أهرمين » وقوة الخير « أهورا » .
وكذلك جرتها علينا - فيما أرجح - من قريب مبادئ
الثورة الفرنسية فى تصور معنى الحرية والاستقلال ؛ فهناك
ابن الوطن Le citoyen من ناحية ، وهناك الملك من ناحية
أخرى ؛ ذلك لأن التفكير فى ذاته وسيلة سلبية هادئة للخلق
« التماسك » فى عقلية الفرد ، وخلق التماسك فى عقلية
المجتمع ؛ وهذا التماسك هو الانتقال من حالة نوعية إلى حالة من
نفس النوع يجوز لها التخصيص . فكل ثورة هى نهاية ظاهرة
لحالة تطورهادى سبقت ، وتضمنت هذه الثورة ؛ فعلى إذاً حاضر
لماضى سبق قد مهد لها ، وهى حاضر كذلك لمستقبل يأتى ، تمهد
هى له . الثورة فى نظر الفيلسوف الألمانى شيلنج Schelling
لا يمكن أن تنفصل عن التطور وعناصره الثلاثة : الماضى ،
والحاضر ، والمستقبل . (التطور هنا لا يقصد به نظرية داروين
وسبسر التى أثبت خطأها أستاذنا الفيلسوف لالاند Lalande فى
كتابه : « خداع التطور » Les illusions évolutionistes ؛
وإنما التطور الذى نزل من فلسفة أفلاطون وقالت به المدرسة
الألمانية الحديثة وخاصة هيجل Hegel وشيلنج Schelling وهو
التطور المنطقى لظواهر التاريخ عامة) . فالثورة بهذا الفهم هى عنصر
أكيد للسلام والتقدم

ولنأخذ مثلاً ثورة أفلاطون فى العهد القديم . هذه الثورة
كما يحدثنا الفيلسوف الألمانى زلر Zeller فى كتابه « فلسفة أهل
اليونان » الجزء الأول - جمعت بين الفلسفة الطبيعية التى سادت
التفكير اليونانى إلى ما قبل سقراط ، وجمعت الفلسفة المنطقية التى
وجدت فى عصره عند السوفسطائيين ، وكذلك الفلسفة الأخلاقية
التي قال بها سقراط ، ففيها يلتئم عنصر الماضى وعنصر الحاضر
وكذلك عنصر المستقبل ، لأن فلسفة أفلاطون ضمت الحياة
للفلسفات المنطقية والأخلاقية من بعده ، الأولى فى تلميذه أرسطو
والثانية فى زعيم الرواقين كريسب Chrysippe ومن أخذ عن
هذين الفيلسوفين إبان القرون الوسطى من عرب ، ورومان ،

ولكننا نوجهه إلى الأساتذة أصحاب الفضيلة فنقول :

الثورة في مجال الأخلاق لا تبني على إنكار الفضائل ، وتجاهل أمر الثورات الأخلاقية في تطور التفكير البشرى ، ولكن على علاقة الفضيلة بالردية أولاً ، وعلى استعراض التصور التوعوي للفضيلة في الثورات الأخلاقية

(١) أما عن تحديد علاقة الفضيلة بالردية فلا يمكن البحث عنها خارج فلسفة الرواقين ، لأنه أعظم مبدأ أخلاق وجد إلى الآن في تطور التفكير الإنساني ، وذلك لأنه قضى على مبادئ الأخلاق التي تقدمته بتعاليمه السامية . فبينما سقراط يجتهد أن يتخذ من الأخلاق سبيلاً لتقييد حرية الفرد وإخضاعه للدولة الحاكمة في المجتمع اليوناني ، نرى أفلاطون يفترض السوء في طبيعة الإنسان ويجتهد بعد ذلك أن يرفعه إلى قداسة عالم المثل . كذلك أرسطو فهو يميز وينوع بين خلق الله فيقر الرق والاستعباد ، ويضع أخلاقه للسادة من الناس ، والأرستقراطية التي قضت مباشرة على مبادئه وأضحى فكره ميتاً بعد حروب الاسكندر الأكبر ، لأن المجتمع اليوناني في ذلك الزمان أصبح في حاجة ماسة لمن يخاطبه بلغة قليلة التجريد — أقرب إلى الواقع منها إلى الخيال ، يتحقق خلالها ذلك الفهم الواسع الذي أدركه اليونانيون باحتكاكهم بعد تلك الحروب بسائر الأمم الأخرى ، لهذا لفت تعاليم الرواقين نجاحاً عظيماً وخاصة تعاليم كرزيب Chrysippe (اقرأ كتاب أستاذنا أميل برهيه Emile Bréhier وعنوانه كرزيب في مجموعة ألكان Alcan لكبار الفلاسفة) لأنها ألقت الرق ، وجعلت الناس سواسية كأستاذان للشط أمام القانون الأخلاق ، وافترضت الخير في طبيعة الإنسان . وأهمية هذا المذهب لا تقف عند هذا الحد لأنه ساد بعد ذلك كل العالم الروماني ، وعالم القرون الوسطى في أوروبا خلال آباء الكنيسة . والأهم من ذلك أخيراً أن زعماء الفكر الحديث عندما كتبوا في الأخلاق تأثروا بالرواقين ، فمثلاً ديكارت في خطابه مع البرنيسيز الزبائ ، وسبينوزا Spinoza في كتاب « الأخلاق » ، وكانت Kant في كتابه عن الأخلاق فالرواقيون آباء الأخلاق لم ينكروا في ثورتهم الفضائل ولم يبخسوا كذلك الرذائل حقها وما لها من أهمية في الحياة ؛ غير

ومسيحيين . وهكذا بعد أن كانت الفلسفة المنطقية من قبل أفلاطون سبيلاً للشعوذة والسفسطة والثرثرة ، أصبحت فلسفة محترمة تنفي إقامة العلم والبحث عن الحقيقة المجردة . كذلك بعد أن كانت الفلسفة الأخلاقية من قبله وسيلة لإخضاع الفرد في المجتمع اليوناني أو الدولة الحاكمة ، أضحى سبيلاً لتحريره وتقوية إرادته

ومثل آخر في العهد الحديث : ثورة كانت Kant الألماني فهي قد جمعت بين تيار الماضي — بالنسبة إليه — وهو تيار فلسفة ديكارت Descartes حينما يتكلم عن ملكات العقل ، وتيار الحاضر — بالنسبة إليه — وهو تيار الفلسفة الإنجليزية الممثل في فلسفة دافيد هيوم David Hume ، لأن (كانت) نفسه يقول إن هيوم « أيقظه من سباته الفكري » . ونجد أثر هذا ظاهراً عند ما يتكلم كانت في أثر الخواص في نظرية المعرفة ؛ أما عنصر المستقبل فهو أن كانت Kant كفّل الحياة من بعده لفلسفات تنطق نارة باسم العلم مثل فلسفات أوجست كنت ، وكورنوه Cournot ، وفلسفات تنطق باسم المنطق والإلهيات مثل فلسفة لاشليه Lachelier ، وفلسفة بوتروه Boutraux (اقرأ كتاب أستاذنا العلامة الكبير لاسباكس Lasbax أستاذ الفلسفة بجامعة كليرمون ، ورئيس المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، والسكرتير السابق للوزير بريان Brian ، وعنوانه : « المنطق وتطور العالم »

وعليه فالثورة في التفكير هي عنصر للسلام أي التوفيق بين الماضي والحاضر الفكري ، ومظهر للتقدم ، أي يجب أن تكفل خلق تيارات جديدة للفكر في المستقبل .

أما الآن فلتحدث عن الثورة « الأخلاقية » . الثورة في مجال الأخلاق تتضمن الإقرار بوجود هذا المجال ، وتمييزه في نفس الوقت عن المجالات الأخرى كمجال النفس والاجتماع والمنطق ، والإقرار كذلك بأن له طبيعة خاصة وأصولاً للتفكير فيه ، وإلا أصبح البحث عبثاً ، والجدال رغاء ، وقلبت الأوضاع ، وأنكر التاريخ ، وجحدت المجهودات الباقعة للفلاسفة . فنحن إذ لا نوجه كلامنا إلى أصحاب الردية الذين يبخسوا الفضائل حقها .

أن يفعله الإنسان في يومه ، والتحقير من أهمية الماديات لتغير قيمتها بتغير الأشخاص والأزمان والأصقاع ، فهي أشياء عارضة ، وينبني الزهد فيها ، والاعراض عنها ، فهي أخلاق تهتم بتخفيف وطأة الرذيلة

وأخلاق تسميها « داخلية » تبني على رياضة الإرادة ، أساسها ضبط النفس وغرضها الوصول إلى الخير المطلق ، ونجدها في كتاب شيشرون المسمى De finibus ، وهي ما يصح تسميتها كذلك بلغة العلم الحديث « أخلاق نظرية » ترمي إلى خلق الانسجام بين إرادة الوجود في الفرد ، وإرادة الوجود في العالم ، وإرادة الوجود في المجتمع

كذلك الاستعراض النوعي للفضائل في ثورات الأخلاق ، يدل دلالة واضحة على أن هذه الثورات لم تكن حرباً على الفضيلة ولم تكن للحط من قيمة الإنسان إلى قدر هو أدنى منه ؛ وإنما كانت برداً وسلاماً عليها ، ترسم سبل الوصول إليها وإمكان تحقيقها : فالثورة اليونانية الأخلاقية كما يذكر الفيلسوف بوتزوه في كتابه (مسائل في الأخلاق والتربية) كانت ترمي إلى رفع الإنسان إلى القداسة العقلية بحيث يصبح العالم بيتاً للإنسان والآلهة (أنظر كذلك شيشرون « طبيعة الآلهة ») . ويتحقق حلم الرواقين في خلق مدينة العقلاء فيسود السلام على الإنسانية ، بإحسان كل إنسان إلى أخيه فلا يبقى هناك فضل « ليوناني » على أجنبي

والثورة الدينية في الأخلاق : إبان القرون الوسطى ويمثلها فيلون الاسكندري في اليهودية ، والغزالي في الإسلام ، والقديس أوغسطين في المسيحية ، تنلخص كلها في تلك النزعة القديمة الشرقية التي اقتص بها الجنس السامي وهي فكرة الخطيئة الأولى وما تتطلبه من التحلي بالفضائل كوسيلة لا تقاؤ خلق الله من وصمتهم . والمود بهم إلى جنات الخلد والتعيم (أنظر كتاب مُنك Munk « في الفلسفة المربية واليهودية » ، وكذلك كتاب أستاذنا العلامة جيلسن Gilson بالكليج دي فرانس وعنوانه : « المسيحية والفلسفة »

أنه يستحيل في نظرهم فصل الاثنين عن بعضهما ، لأن الإنسان مركب من روح وجسم — وهي البداهة كلها — فله شهوات تدعو إلى الرذيلة ، وله غايات روحية سامية يريد تحقيقها ؛ غير أن الشهوات والليل إلى الرذيلة ليست بطبيعية في الإنسان ، فالإنسان كأساس خيّر بطبعه ، ولكن الحياة الخارجية المادية ومغرياتهما هي التي تفسد عليه داخلته ونفسه الظاهرة . ولما كان أغلب الناس لا يمكنهم التضحية بمغريات الحياة الخارجية ، اضطروا رواقيون ألا يتجاهلوا أمر الرذيلة وأثرها في التخلق فحسبوا لها حساباً بل جعلوا منها ضرورة لازمة للفضيلة ؛ ويقدمون لذلك ثلاث حجج ، (يجدها القاري في كتاب أستاذنا برهيه Bréhier والأستاذ بيفان Bevan)

أولاً — حجة بالمقارنة ؛ فالرذيلة تابعة للفضيلة وشرط أساسي لها ؛ ويضربون لذلك مثلاً جمال رأس الإنسان الذي يتضمن في نفس الوقت نوعاً من الضعف هو رقة عظامه وتعرضه في أي لحظة للأخطار الطارئة ، فاذن نيس هناك جمال خالص من ضعف أو قبح يشوبه ، كذلك (ut...sic) ليس هناك فضيلة خالصة ولا بد للرذيلة أن تلازمها فهي ضرورة لها

ثانياً — حجة منطقية : تتلخص في أن التقيضين متضامتان ؛ فالخير يتضمن الشر في تصوره ، والحسن يتضمن القبيح في إدراكه ، والفضيلة تتضمن الرذيلة وهلم جرّاً ...

ثالثاً — حجة أخلاقية : بقول الرواقين : الرذيلة ليست من طبيعة مغارة للفضيلة ، فكلاهما من نوع واحد . وليست الرذيلة هي حرباً على الفضيلة ، وإنما هي فضيلة ضالة ، والعقل في تصورها وفعلها خاطيء ، ومهمة الأخلاق هي العودة بما ضل إلى الطبيعة الخيرة الأولى

هذا الفهم للعلاقة بين الفضيلة والرذيلة اضطرو الرواقين إلى تصوير نوعين من الأخلاق : أخلاق لا يصح أن نسميها « خارجية » نجدها في كتاب « الواجبات » لشيشرون ، وهي تختص بمغريات الحياة الجارية وتنبئ على ما يجب فعله وما لا يجب

الرسالة في سنتها السادسة

على الرغم من ارتفاع أثمان الورق هذا الارتفاع الفاحش ،
وبالرغم من تقدم الرسالة هذا التقدم المطرد ، وبالرغم مما سنبذله
في تحسينها من الجهد في عامها الجديد ، سيقت اشتراكها كما هو :
ستون قرشاً في الداخل ، وجنيه مصري في الخارج ، وتقدم
إلى من يدفعه في أثناء شهر يناير المقبل مجلة الرواية مجاناً

الرواية

وليست الرواية هدية ضئيلة القدر ، فإنها تصدر جميلة الطبع
والوضع في سبعين صفحة ، وهي المجلة الوحيدة التي تقرأ فيها
القصة المرية الفنية مكتوبة بأسلوب يليق مشرق ، أو القصة
الأوربية الرائعة مترجمة بلسان أمين صادق . وحسبك دليلاً
على قوتها وقيمتها أن مجموعة سنتها المنصرمة تشتمل على ٣٤
أقصوصة موضوعية ، و ١١٦ أقصوصة منقولة ، وثلاث
مسرحيات ، وعلى النص الكامل لكتاب اعترافات فتى البصر
لألفريد دي موسيه ، وملحمة الأوديسة لهوميروس ، وكتاب
يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم . أما مجموعة السنة
القادمة فتستكون أروع وأجمع وأثقل . واشتركا وحدها
ثلاثون قرشاً في مصر ، وخمسون في الخارج

اشتراكات الطلبة والمعلمين الإلزاميين

يشترك الطلبة والمعلمون الإلزاميون في الرسالة وحدها
بأربعين قرشاً ، وفي الرواية وحدها بعشرين قرشاً ، وفيهما معاً
بخمسة وخمسين قرشاً ويضاف إلى ذلك خمسة وثلاثون قرشاً
فرق البريد لاشتراكات الخارج . ويجوز أن يقسط هذا المبلغ
أقساطاً تبدأ في يناير وتنتهي في شهر مايو من سنة ١٩٣٨
الاشتراك في الرسالة : بقوى عقلك ، وبمضى

ثقافتك ، وبطلعتك على تطور الفكر العالمي الجدير

والاشتراك في الرواية : بربى ذوقك ، وبرهف

شعورك ، وبتملك بروائع الفن القصصي الحديث

ثم جاءت بعد ذلك الثورة الحديثة في الأخلاق تقيم الفضائل
وتقاسرها ولكنها تفهمها بشكل آخر جديد ، فبينما نجد القداسة
العقلية عند اليونان ، والقداسة الربانية عند اليهود والمسلمين
والنصارى ، نجد القداسة العملية النفعية عند الإنجليز في شخص
هز Hobbs ومدرسة بنتام Bentham ، وميل mill ، وسبنسر
Spencer (أنظر جيو Guyau الأخلاق عند الإنجليز وأيضاً
سبنسر التطور والأخلاق

أصبحت الأخلاق عندهم تهتم بالحياة الجارية وتتأثر بالفهم
الرياضي فأصبحت « حساباً للذات » من وجهات الكم والكيف ،
والبقاء ، والزوال ؛ وأصبح الفرد وأمانته محوراً للأخلاق .
ظهرت ثورة أخلاقية جديدة في ألمانيا هي ثورة كانت Kant تذكرنا
بآراء الرواقين في العهد القديم لأنها تركز على فكرة الواجب
L'idée du devoir المجرد من الغايات النفعية والأغراض
العارضة ، وأن الإنسان في تحلقه يجب أن ينظر إلى ثلاثة أفكار :
أولاً : أن يكون التخلق واحداً لكل الناس . ثانياً : أن يحترم
الإنسانية في شخصه . ثالثاً : أن يتخلق وأن يعلى على نفسه
تحلقه دون أن يخضع في ذلك إلى مؤثر ما . لهذا كانت نهاية ميده
الإرادة الحرة (أنظر دلبوس Delbos فلسفة كانت Kant

ونحن بعد هذا لا نريد أن نمدد الأمثلة أكثر من ذلك
لنثبت أن للأخلاق والثورة عليها أو فيها طابع وأصولاً ومبادئ
لا تبرر مطلقاً ماذهب إليه الثائرون . لهذا غضبت النفوس الكريمة
وناصرت الفضائل التي هي السبيل الوحيد لوجود الضرر كتنكر ،
لأن ديكارث لا يفصل التخلق عن المعرفة والسبيل الوحيد كذلك
لوجود الفرد اجتماعياً ، لأن دوركيم لا يؤمن بقيمة الفرد إلا إذا
أمنت الناس من حوله بما ينطق ويفكر . فأكبر الأستاذ
الزيات ، وعزام ، والخطوبى هو لسان المجتمع في هذا الموضوع
المبرر الصادق عن المشاعر الخفية التي تكنها نفوس المصريين
أجمعين من حولهم ، فليكن إذا هؤلاء الثائرون — اعتباراً —
عن آرائهم ، فالرجوع إلى الحق فضيلة

عبد العزيز عزت

خريج جامعات القاهرة وإريس ، وكليمون
عضو هيئة الجامعة المصرية لكتنوراه الدولة

فلسفة التربية

كما يراها فيروسة الغرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٧ —

—>>><<<—

« إذا أمسك الله تعالى بالحق في يمينه ، وباليمين الدائم إليه في يساره ، ثم أمرني بالاختيار : لقطت على يده اليسرى وفلت اعطى هذا أيها الأب الأقدس ، لأن الحق الخالص ليس إلا لك »

ليسنج Lessing

« ... وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم ، وبمقدار علو المستوى الذي يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحى إليه الفنون من سمو في الشعور وتذوق للجمال »

أحمد أمين

المنهج والطريقة

رأيت في المقال السابق كيف تعتد يد « الديمقراطية » إلى « العلم » و « المدرسة » و « الطالب » لتصلح من شأن التربية ما قد أفسدته النظم البالية والتقاليد الزنة ، وسترى اليوم ما ينبغي أن يكون عليه المنهج وطريقة تدريسه حتى لا يكون الأمر مجرد « إنهاك عصبي » لا أكثر ولا أقل ..!

يقسم الأستاذ « هورن »^(١) العلوم إلى خمس طوائف : فنية ، وتشمل : العمارة والحفر والتصوير والموسيقى والأدب والدين ؛ وإرادية وتشمل : النظم والأخلاق والقوانين ؛ وعلمية عقلية وتشمل : المنطق واليتافيزيقا والجمال واللغة والأخلاق النظرية ؛ وعلمية مادية غير عضوية وتشمل : الطبيعة والجيولوجيا والجيولوجيا والفسولوجيا والفسولوجيا والفلك والمعادن والكيمياء ؛ وعلمية مادية عضوية وتشمل : الحياة والنبات والحيوان والفسولوجيا والتشريح وتاريخ الإنسان والاجتماع والاقتصاد

وأنت ترى أن كلا من هذه العلوم يعالج إحدى نواحي الكون معالجة خاصة ، وأنها جميعاً ذات قيمة « ذاتية » كما يقول « هيربارت » ولكننا في ناحية « الثقافة العامة » على الخصوص مضطرون إلى التفریق بينها في الدرجة والضرورة فلا نفضل منها إلا ما ينبغي

(١) انظر كتابه Horn Aphilos, of Education

وغايتها . ومن هنا كان ذلك الخلاف الهائل في آراء علماء التربية وأساليبهم ؛ « هيربارت » يطالب بقيمة المادة « الذاتية » بصرف النظر عن نتائجها وآثارها ، و « ديوى » يصر على اختيار المواد « النفسية » وفقاً لمذهب العمل ، و « ريدجر Ruediger » القائل بفكرة الملاعة مع البيئة^(١) بطيناً رقيقاً آلية وأخرى ثقافية . فالأولى منها التحضيرى كمواد القراءة والكتابة ، ومنها العملية كمواد اللعب ، ومنها « الاجتماعية » كمواد الأجتناس والأديان^(٢) والأخلاق والتاريخ والأدب ، ومنها « التقليدى » كالتخطئة والجدل ؛ أما الثانية — الثقافية — وهي أرقى القيم جميعاً ، فتدخل فيها المواد التي تحرر العقل وتهذب المواطن وتزقي بالشعور ، كالفلسفة الخالصة والأدب المجرد

هذا وقد رتب الفيلسوف « سبنسر » المواد تبعاً لأهميتها وضرورتها فجعل علوم « الصحة » على رأسها ، وتليها علوم « التربية » ثم علوم « السياسة والاجتماع » ثم علوم « الفراغ » أى « الفنون » ...!

أما « رسل » فقد فضل المواد التي « تُبنى وتحفظ قوة الخلق والتضلع والحيوية في الفرد ، وتعينه على التمتع بالحياة ذاتها وأما الأستاذ « أمير بقطر » فيقول بانتخاب المواد التي تفتح على الطالب أكثر من باب واحد^(٣)

ولقد أدلى الأستاذ « أحمد أمين » برأيه في الموضوع فقال^(٤) « إذا كانت قيمة الثقافة الذاتية هي أبداً في مقدار ما ترفعه في المثقف من وجهة النظر إلى الأشياء وتقويمها فيما جديدة أقرب إلى الصحة ، أسلمنا ذلك إلى نتائج خطيرة ، فدين خير من دين بمقدار ما يحاول تماليمه من وقع مستوى النظر إلى الله وإلى الحياة ، وعلم خير من علم باعتبار ما يؤدي إليه من نظر راق صحيح . وثقافة الانسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من العلوم والآداب ، ولكن بمقدار ما أفاده العلم وبمقدار علو المستوى الذي يشرف منه على العالم ، وبمقدار ما أوحى إليه الفنون من سمو في الشعور وتذوق للجمال

(١) ويكون ذلك بالتقدير المتزايد للبيئة مع الاسجام والقيادة والقدرة على الانتفاع بقوى الفرد وحملها ناحية فعالة متبعة

(٢) ولنا نوافق الأستاذ « ريدجر » في جعله قيمة الدين آلية حسب

(٣) لا أذكر مع الأسف عدد « مجلة التربية الحديثة » الذي جاء به هذا الرئي

(٤) انظر مجلة الرسالة السنة الثانية عدد ٢٣ مقال « قيمة الثقافة »

الدراسة شائقة وينفس عن الفرائز، وفلسفة خلقية وميتافيزيكية واجتماعية توطد من مركز التناهي في المجتمع والكون وقهمه علاقة الأرض بالسما .. ١

أما الطريقة فلا تكاد تقل خطورة عن المادة، بل إن المستحدثات في التربية لتنصب عليها بوجه خاص، ذلك أن دراسة علم النفس للطفل وقواه قد كشفت عن أصول أساسية يبنى أن يقيما « المعلم » في تدريسه، ومن هذه الأصول ألا تكون الطريقة « قياسية » إلا في آخر مراحل التدريب؛ أعني أنها يجب أن تكون استقرائية قائمة على الملاحظة بحيث تجعل الطفل في حالة « اختبار » حقيقية يرغب فيها لذاتها، وتنبه فكره إلى المسائل التي يعالجها، وتتيح له القدرة على تدبير هذه المسائل بمعرفته وملاحظته، وتجعله مسئولاً عن حل الحلول التي تعرض له بطريقة منظمة، وتعطيه أخيراً الفرصة التي يختبر بها صحة فروضه ويتأكد من صحتها

هذا إلى وجوب تفهم الطفل قيمة ما يدرس ومدى نفقه في الحياة العملية والمعنوية ليزداد جهده فيه وإقباله عليه، وليكون قلبه معه دائماً في عمله، وإلى وجوب وقوف المدرس بين (١) فلا يترك الطفل يحضى إلى إشباع ميوله دون رقابة، ولا يعلى عليه ما يريد إملأه قسراً، بل يتبين ما يتحفظ فيه من غرائز وميول ويقدم له ما يساعده على ما يريد

ولما كانت الطريقة هي ترتيب المادة بحيث تكون أكثر فاعلية في الاستعمال فإنها لا تكاد تخالف المادة قط. أليس من « يأكل » يتناول طعاماً هو « الأكل » نفسه؟ (٢)

وقد نجم من فضل الطريقة عن المادة قلة فرص التجارب أمام الطفل، وسوء فهم النظام والشوق، والناية القيمة بالحفظ وحده، وجعل عملية التعليم ميكانيكية عديمة الروح، فأدى الأمر إلى تخشب آلي « بسبب الفصل بين العقل وبين النشاط الذي له من خلفه غرض يدفعه (٣) »

أفرايت هذا كله؟ أفلا حظت ما فيه من قوة ونفع وسحر؟ إنهم هكذا يفكرون في أسريكا وكذلك يطبقون (٤) ...

(ينبع) محمد حسن طالطا

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

(١) انظر .. A Source Book

(٢) انظر التربية والأخلاق للاستاذ تام (٣) من كلام للاستاذ ديوي

(٤) ومن حسن الحظ أن مصر قد بدأت تأخذ بفك الاتجاه كما لوحظ في القبول التجريبية ومهد فاروق الأول

وأنت ترى مني أن تلك النظرة من الأستاذ حسيطة كل الحسافة وبسيدة النور وسامية المنطق، وأن نظرة « ديوي » مشوبة بالنفع العمل الذي يشوه فلسفته الخاصة، وأن ترتيب « ميسنر » يقلل من شأن تلك المنفعة « العقلية والفنية » التي جعلها « هورن » جوهر الثقافة الحقيقية

ومهما يكن من شيء فما دامت غاية التربية هي خلق الحياة الاجتماعية المثلى. وأعني بها تلك الحياة « التي يستطيع الفرد أن يجد فيها مجالاً لتحقيق مستلزمات حياته الأدبية والعقلية والروحية والمادية على أتم وجه بحيث يثني له أن ينمو ويتقدم أخلاقياً وروحياً ومادياً وعقلياً نغواً تتطلبه طبيعته وتستطيع أن تحمقه الظروف مع البيئة (١) » أقول ما دامت تلك هي غاية التربية فيجب أن نحاول تطبيق ذلك على مواد المنهج وطريقة تدريسها « فاللادة » يجب أن تكون تامة الوفاء بما تتطلبه « المرحلة » البدنية والنفسية من نمو، ويجب أن تكون محبوبة للطفل شائقة لديه لا هي بالسهلة ولا هي بالصعبة، ويجب أن تكون مستمدة من الحياة ومرنة تلائم الاختلاف بين عقول الأفراد، ويجب أن تظهر للطفل كأنها مادته الضرورية الخاصة، ويجب أخيراً أن تكون « بحيث ترتفع به إلى مستوى أرق في العمل والشعور لا مجرد إلهاء عصبى (٢) »

وإذا كان الناقد الألماني « ليسنغ » يقول إنه بفضل « الدافع الدائم للحق » ما دام الحق الخالص ليس لغيره سبحانه وتعالى، فإننا يجب أن نتجنب حشو المنهج بالمواد ونكتفي بإثارة حب البحث في الطالب ناظرين دائماً إلى الكيف لا إلى الكم حتى يكون التلم دائماً ذا عقل خصب لا يهرم بكبر السن، ولا ينوء تحت أقبال معلومات مبهوشة، ولا يني يبحث ويطلع بعد الدراسة محتفظاً بربيع الحياة

وما دامت دراسة « الطبيعة » ذاتها وسيلة للاحتفاظ بالحياة وللتعة فيها والرفاهية، فلا تمارض إذا بين الدراسات الطبيعية العلمية والدراسات النفسية الفنية، وإذا فليكن في المنهج ثقافة عامة توسع الإدراك وتدقق الفهم، وتاريخ وجغرافيا يزيدان في معنى التجارب الإنسانية وثروتها، وعلوم طبيعية تفتح مجالاً للعقل وتؤدي به إلى الصيغ والقوانين الكلية، ولعل يجعل

(١) انظر مجلة الرسالة السنة الثانية عدد ٢٣ مقال قيمة الثقافة

(٢) انظر كتاب الأستاذ « ديوي » Democracy and Educ

وقد لخصته الآنية التربية لإحسان القومى في رسالة صغيرة

بين القاهرة واستنبول

للدكتور عبد الوهاب عزام

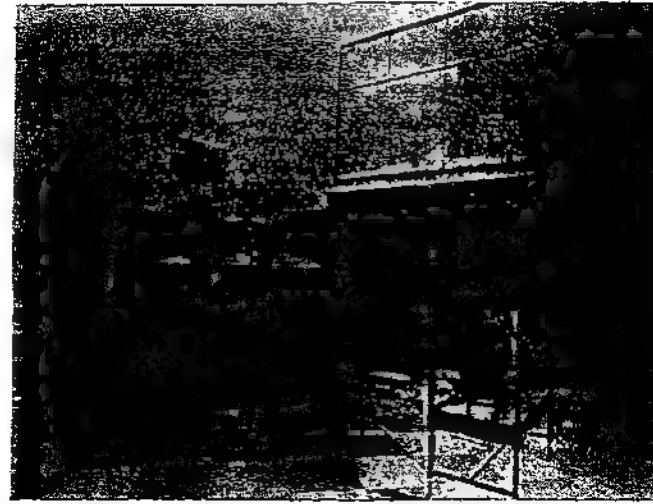
— ٥ —

متاحف طوب قبو سراي

يا أخى صاحب الرسالة

سلام عليك

وقفت بك في الرسالة السابقة على عرش الشام إسماعيل الصفدى ، وجدير أن نطيل الوقوف عند هذا العرش الذى بذلت الصناعة وسماها في هندسته وتذهيبه وترصيعه وتلوينه ، ولأمت فيه يد الاتقان بين الذهب والمينا والزمرد والياقوت ، وألفت بين ألوانها تأليفاً متآلفاً مرضياً ، وقد أرى فيه الذكر تلالاً تلالاً الجوهر



عرش إسماعيل في وقاية من زجاج وبرى في وسطها

وقفت عند هذا العرش أذكر الشام إسماعيل هذا الملك الجبار الذى نشأ في زلازل الحادثات حتى ملك أزمة دولة مبتدأة وهو لم يبلغ الحلم ؛ وما لبث أن مد سلطانه ما بين العراق إلى الهند ، ثم أورث أبنائه دولة لا تزال آثارها شاهدة بما تركه ، ناطقة بمظلمة ملكهم ، مذكرة بما طوى الدهر من سلطانهم

هذا العرش ما خطبه ، ما باله وخزائن سلاطين آل عثمان ؟ هنالك ذكرت جلاد سليم وإسماعيل ، وذكرت موقعة جالديران الموقعة التى كادت تذهب بدولة إسماعيل الناشئة ؛ لو لا أن عانت سليماً الموائق . وجالديران وأرمديدوشمالى أذربيجان اصطفت فيه جنود سليم وجنود إسماعيل سنة ٩٢٥ من الهجرة . قسم سليم جنوده ، وجعل الانكشارية في القلب وأخذ مكانه خلفهم ، وجعل المدافع وراء الجناحين وشد بعضها إلى بعض بالسلاسل . وصف إسماعيل جنوده ، وتولى قيادة الجناح الأيمن مائة وخمسون ألف جندي صمدت لثلاثها ؛ فانظر هذه الحرب المتأججة يضر بها ثلاثمائة ألف !

ويحمل إسماعيل الفتى الشجاع ، معزاً بجنده ، مفتخراً بنسبه العلوى ، مصمماً أن ينتصر أو يقتل ، وبشق جناح العثمانيين الأيسر ويحسب أن النصر مقبل عليه

وتظاهر جناح العثمانيين الأيمن بالهزيمة وانقسم ، فتحمل مسيرة إسماعيل وترى بنفسها في الفرقة بين القسمين فإذا هي أمام المدافع ، وإذا النيران تأخذها من كل جانب . لا تبدل الحال ويواتى العثمانيين الظفر

ويسقط إسماعيل عن جواده جريحاً وينجبه من الأسر القريب الفرار إلى تبريز ويأمر سليم بجمع الثنائم ، ويضرب بها نال من ظفر على عدوه الجبار

وسليم يدخل تبريز بعد ثلاثة عشر يوماً دون حرب ، وكانت تبريز يومئذ دار الملك وبها خزانة إسماعيل قد جمع فيها ما أخذ من التيموريين وغيرهم من الأمراء الذين غلبوا على ممالكهم . وبينما يدبر للاستيلاء على ملك إسماعيل كله يرى بين جنوده أمارات المصيان فيرجع أدراجه قائماً بما أحرز من نصر وما ملك من بلاده . ثم لم يبق في تبريز إلا ثمانية عشر يوماً

هذا العرش مما غنم سليم في هذه الحرب الضروس وذكريت خينثذ الرجل الكبير قانسوه النورى الذى خشي سولة سليم فألا الشام إسماعيل فأفسد ما بينه وبين العثمانيين



للأستاذ توفيق الحكيم

ما أطول حديثنا الصامت في برجنا العاجي ! هذا البرج الذي يحرسه « تنين » الوحدة ! وما أكثر تلك الخواطر التي تمر برؤوسنا أحياناً كالطيور العابرة دون أن نقتنص منها شيئاً ! هنا داخل هذا الإطار وبين هذا السياج سأحبس ما يقع منها تحت ذاكرتي . وإن خواطري لكثيرة ، لأن أوقات عزلي طويلة ؛ وليس لي علم بلمب الرد ولا غيره من وسائل قتل الوقت ، فالوقت عندي هو الذي يقتلني لأنني لا أعرف كيف

وتتابعت الأحداث حتى كانت وقعة صراج فابن في رجب سنة ٩٢٢ قبل وقعة جالدران بستين ثلاث . وتصورت سليماً يحرز نصراً بعد آخر ويطوي مملكة بعد مملكة بجندته وعدده ، ولا سيما هذه المدافع التي لم يتسلح بها محاربوه

وعدت أنذكر ما أعقبت عداوة سليم وإسماعيل من عداوة بين المسلمين ، وما أثارنا من ضيقة بين أهل السنة والشيعة ، وما كان القتال إلا على السلطان والجاء وإنما كانت المذاهب تملأ

ثم تبادت الفكر وتواتت الذكر فأخفت أقيس الرجال الثلاثة واحداً بآخر ، وأنذكر ما كان منهم في السياسة والعلم والأدب . وقلت : هؤلاء الثلاثة الذين سيطروا على وسط البلاد الإسلامية كانوا يمثلون ثقافة الأمراء المسلمين . وفيما أثر عن ثلاثتهم من شعر نماذج من أدب أمراءنا في القرن العاشر الهجري . وسمعت أن أكتب إليك في هذا بإساجب الرسالة ثم تذكرت أنني أصف آثاراً في متحف ، وأن الكلام على قانسوه وإسماعيل وسليم جدير أن يستأثر بمقال أو أكثر

ولعل أجد لذلك فرصة بعد

عبد الرهاف عزام

أقتله . ولقد حاولوا كثيراً في صباي أن يملوني تلك الألعاب التي تلعبها الناس عن أنفسهم في أوقات الفراغ ، ولكنني كنت أنسى دائماً في المساء ما علموني إياه في الصباح ؛ ولم ينفع في أمرى تعليم ولا تفهيم . وخرجت من عهد الصبا دون أن أحقق لعبة أو أحجية . شيء واحد كان يلهمني ويسرنني ، وقد كان عندي بمثابة الرد والأحاجي : ذلك هو الجدل حول فكرة من الأفكار . ولكم أتعبت كثيراً من أولئك الذين كانوا يلعبون مني هذا الضرب من الشطرنج في وقت من الأوقات ! لقد كنت أضيع عليهم نهراً بأكله دون أن أمل ؛ وإن رؤوسهم لتكل فما أرحمهم ولا أرحم نفسي . إن حُب التفكير لنقمة . آه لو علم الناس كيف يبيت الأدياء ورجال الفكر ! إذن فليعلموا أن القدر يوم دفع الأدياء إلى الوجود صاح فيهم ساخراً : « اذهبوا فإن لكم الفكر ، ولكن ... »

ولم يتم كلامه وانقسم انقسامه في أبلغ من التعبير . نعم . مامن أديب أو مفكر إلا أدرك أخيراً بعد أن قطع شوطاً من الحياة أن شيئاً آخر ربما كان أجدي عليه من الفكر قد سلب منه إلى الأبد ! إننا نحمد أحياناً بقية الناس . وإننا لا تصور القدر وهو يشيع الآخرين إلى باب الوجود فيقول لهم : « اذهبوا فإن لكم الحياة ... ولكن ... »

أجل إنه يتسم لهم كذلك عين إنسانته الساخرة ، ولكن هؤلاء الناس لا يفهمون مطلقاً أن القدر قد سلبهم شيئاً . وهنا الفرق بيننا وبين بقية الناس : إننا نحن رجال الفكر ندرك تمام الإخراك ما سرق منا وما فقدناه ؛ أما الآخرون فلا يملون . وهذا سر عذابنا نحن

والآن وقد تكشف لنا حياتنا الفكرية عن برج مرتفع لا خروج لنا منه ؛ برج يملؤه السكون ولا نسمع فيه غير صدى أمواتنا الضائعة ؛ فلتكلم إذن بين تلك الجدران ، فإن رجوع الصدى يؤنس على الأقل وحشتنا

ترجمة الحكيم

أناسير صوفية

جيتا نجالي

للشاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

— ٧٢ —

إني أبرأ من الاستسلام ، وأنا أستشعر الحرية تحوطني في
لذة وطرب

وأنت — دائماً — تفرغ في كأس من رحيقك العطر
ذي الألوان رشفة سائلة ، فتغم هذا الإلهاء الأرضي
إن دنياي ستشمل من نورك مصابيحها العديدة ، وتضمها
أمام عراب مبدك

لا ، لن أغلق أبواب حواسي ، فإن لندافات البصر والسمع
واللس تحمل في ثناياها نشوة منك
نعم ، إن أوهامي ستتحرق في شعلة من صرح ، وإن رغباتي
ستنفخ عن ثمرة من حب

— ٧٣ —

لقد خبا ضوء النهار وانتشرت عتمة النسيق على الأرض ،
وآن لي أن أطلق إلى الغدير لأملاً جرتي

ونساب الليل تشجها موسيقا الموج الحزينة . آه ، إنها
تناديني لأندفع في أضواء الظلماء ، وما في الطريق الموحش من
عابر سبيل ، والريج ترف زفيفاً ، وصوت خرير الموج يتصاعد
هائجاً من جوف النهر

لست أدري إذا كنت سأعود إلى الدار ؟ ولست أدري من
عساي أن ألق على الطريق . إن هناك في القارب الذي يرسو في
الناحية الضحلة من النهر ، رجلاً مجهولاً يعزف على قيثارة

— ٧٤ —

إن آلامك تفيض علينا فتسد مآربنا ، ثم ترتد إليك وما
تقصت شيئاً

فالنهر يجرد كل يوم عملاً ، وهو يتدفع إلى الناية بين الحقول
والقرى ، ولكن مجراه المستمر لم يحو قديمك ليفسهما
والزهر يتأرجح فيملاً الهواء عطراً شديداً ، غير أن غايته أن
يقدم نفسه إليك

إن الاندفاع في مبادتك لن يجذب العالم
ومن ثغرات الشعراء خذ ما يحلو لهم ، ولكنك ما تزال
غرضهم الأسمى الذي إليه يشيرون

— ٧٥ —

وعلى مر الأيام ، أقسم لي — يا إله الحياة — أن أقف
بإزائك وجهاً لوجه ؟ وفي خضوعي وذلي ، أقاف بإزائك
— يا إله الكون — وجهاً لوجه ؟
وتحت سمائك العظيمة ، في وجدتي وسكوني وذلة قلبي ،
أقاف بإزائك وجهاً لوجه ؟

وفي دنياك الصاخبة وهي تضطرب بالكد والتناحر ، وبين
الزمر المتداخلة ، أقاف بإزائك وجهاً لوجه ؟
وحين ينتهي عملي في هذه الدنيا أقاف — يا ملك الملوك —
وحيداً صامتاً بإزائك وجهاً لوجه ؟

— ٧٦ —

لقد عرفتك إلهاً لي ثم تنحيت جانباً ... فأنا لم أعرفك أخاً
فأندفع إليك ، ولا أباً فأحنى أمام قديمك ، ولا صديقاً فأعبد
على يديك .

ولم أقف حيث أراك تهبط فتهدي نفسك إلي ، فأضمتك إلى
صدرى وأخذتك رفيقاً

إنك أخ بين إخوتي غير أني لا أعيرهم انتباهاً ، فأنا لا أقسم
بينكم حبي ، ولكني أخصك بجميع قلبي
في حالي نيمسي وبؤسي لا أسكن إلى رجل بل أعتمد عليك
أنت . إني لأزوي وفي نفسي أن أزرع غنى ثوب الحياة لأنني
لا أريد أن أغمر في خضما

— ٧٧ —

في بدء الكون ، والكواكب تسطع — أول ما سطعت —

في تالتي ، إجتمع الآلهة في السماء ، وانطلقوا يفتنون « أوه ،
ما أجل صورة الكمال ! ما ألد الطرب المحض ! »

وعلى حين فجأة دوى صوت من بينهم « إنه ليخيل إلى أن
هناك نقصاً . إن إحدى حلقات الضوء مفقودة ؛ إن كوكباً
قد ضاع ! »

فانقطع وتر القيثارة الذهبية ، وأمسكوا جميعاً عن الفناء ؛
ثم صاحوا في فزع « نعم ، إن الكوكب المفقود أشد الكواكب
لما ناك ، لقد كان زينة السماء ! »

وراحوا — منذ ذلك الحين — يفتنون عنه في دأب ونشاط ،
وغرهم الصبيحة ، ففقدت الدنيا — في ثباتها — بهجتها
الوحيدة !

وفي هدأة الليل وسكونه تبادل الكواكب الابتسامات
والهمسات « عبثاً نفتشون ! إن الكمال التام فوق كل شيء ! »

— ٧٨ —

ليست غاية جهدي أن أفاك على الأرض ، فإذا أريد أن
أستشعر — دائماً — فقد انظر إليك ... ولكن لا تمح ذكراك
من قلبي لحظة واحدة ، ثم ذرني أحمل آلام الحزن لفقدك في
غفلي وفي يقظتي

وحين أقضى أباي بين الحشد في سوق الحياة فتمتليء بداي
بالكسب ، استلبي من نشوة الريح ؛ ولا تمح ذكراك من قلبي
لحظة واحدة ، ثم ذرني أحمل آلام الحزن لفقدك في غفلي
وفي يقظتي

وحين أجلس على جانب الطريق أستجم من أثر الأين والبحر ،
فأنشر فراشي على الثرى ؛ ألقي في دوعي أن رحلي ما تزال طويلة ؛
ولا تمح من قلبي ذكراك لحظة واحدة ، ثم ذرني أحمل آلام
الحزن لفقدك في غفلي وفي يقظتي

وحين تترنن حجراتي وتتصاعد أتلثم القيثارة وترتفع رنات
الضحك ، دعني أشعر كأنني لم أدعك إلى داري ... ولا تمح
ذكراك من قلبي لحظة واحدة ، ثم ذرني أحمل آلام الحزن لفقدك
في غفلي وفي يقظتي

— ٧٩ —

أنا كأنني تُثار سحابة خريف تضطرب عبثاً في أرجاء

السماء ؛ آه ، إن شمسي دائماً تتألق ! إن لساتك لم تحولني إلى
بخار فأكون شمعاً منك يحصى عدد الشهور والسنين التي
تفصل عنك

وإذا كانت تلك إرادتك ، وهذه هي غايتك ، فاجذب إليك
حطاي المنقضى ، واصبغه بالألوان وزينه بالذهب ؛ ثم أرسله بين
هوج الرياح ليدور في فتون أخاذه

وإذا كانت مشيتك أن تنتهي من عمك والليل ساج ؛
فسأذوب وأتلاشي بين أضفاف الظلام ، أوفى بسمه الصباح
اللامع ... في الصفاء والنفاسة

— ٨٠ —

في أوقات الفراغ آسى أنا على أباي الضائعة ؛ ولكنها
— يا إلهي — لم تضع ، فأنت قد بسطت يديك على كل ساعة منها
إنك تستقر في أعماق كل شيء ، فأنت تنفث في الحبة فتصبح
نبته ، وتنفخ في السكيم فيفتح عن زهرة ، وتنضج الزهرة
فتحور ثمرة

لقد كنت أستشعر الجهد والفضي فاستقيت على فراشي وفي
خيالي أن كل عمل في العالم قد وقف ؛ وعند الصباح انطلقت إلى
حديثي فالفيتها تموج بالزهر النض

— ٨١ —

إن الزمان لا ينهائي بين يديك ياسيدي ، وليس هنا من
يستطيع أن يحصى عدد اللحظات

الليل والنهار يتماقبان ، والدمر يفتح ويذوي كأنه زهرة ؛
وأنت وحدك تعرف كيف تبقى ، والقرون يتلو بعضها بعضاً ، تدفع
زهرة برية صغيرة إلى الكمال

لم يبق من وقت نضيمه فلتدافع نحو القرمة السانحة ، فنحن
فقراء يؤذينا الكسل

وهكذا تصرم الزمن وأنا أجبر منه كل شاكٍ يمتني ، فأقفر
محرابك من القرايين

وعند الغروب انطلقت أشتد نحو بابك خيفة أن يفلق على ،
غير أني وجدت أنه ما يزال في الوقت بقية

لعل محمور مهيب

أبو إسحاق الصابى

للأستاذ عبد العظيم على قناوى

— ٣ —

—♦♦♦♦—

لابد للكاتب الحريص أن يتحرى النواحي التاريخية التي تتصل بالحياة الأدبية عند ما يمرض حياة رجل كآبى إسحاق الصابى خباً في السياسة ووضع ، وارتفع بأسبابها ووقع ؛ ليقين هل كان يؤس ذلك الرجل طوال عمره أثر سرف في خطته ، ونتيجة سفه في مسلكه ؟ أم أن جيله الذى نشأ فيه هو رأس نكباته ، وأس ويلاته ؛ حتى صار البؤس على وجهه كتاباً مسطوراً ، والشقاء في حياته طريقاً مرسومًا ؛ لذلك أرى وصف الحالة السياسية في العصر الذى عاش فيه مورجراً

ولد أبو إسحاق في أوائل القرن الرابع الهجرى ، والخلافة مزعزعة الأركان ، واهية البنيان ، يتبارى في تقويض دعائمها وتموين رواسخها أمراء متعددون ، وقواد متحفزون ، شغلهم نفوسهم عن دولتهم ، فهم يبنون لشخصهم ملكاً عضوداً ، ولدوائهم نهوضاً وسعوداً ؛ لا يبالون أن يبنوا ذلك على أقباض منعة الإسلام ، أو على انتهاك حرمة السلام ؛ وكان الثألبون أجناساً شتى ؛ فالتزك طوراً القبح الملع والنصيب الأعلى ، وللدلم حيناً القوة والبطش ، والمنمة والبأس ، والأمة حيال أولئك وهؤلاء كأشراب القطا تتخاطفها البراة الجارحة ، أو كقطمان الحلال تنهاها الذئاب الضارية

وفي الثلث الثانى من هذا القرن استتب الأمر قليلاً لآل بويه وأطمأن إليهم الملك ، فاستولى معز الدولة بن بويه على بغداد بعد أن انتشر فيها الفساد ، وطفئت عليها اللقافة ، واجتاحها الخمصة ؛ حتى هجرها أهلها إلى الدائن والقرى يستمطرون الرحمة ، ويبحثون عن الطمأنينة والدعة ، وبعد مدة خلع معز الدولة الخليفة المستكفي بالله ؛ لاثامه إياه بدسائس يحوكمها ضده ، وتديرات ينسجها في الخفاء له ، وولى بعده ابن عمه المطيع لله ، وكان هذا ككرة صولجانها معز الدولة ، ورحلة سيفها آل بويه ؛ يأمرهم فيأثم ، ويشيرون

فيصنع ، ويشاءون فينفذ ؛ أما أن يكون له من الأمر شيء ، فذلك مالا سبيل إليه . وظل ذلك شأن معز الدولة يدير شئون الأمة متفرداً ، ويقضى في سياستها متوحداً ؛ حتى أدركه الموت منتصف القرن الرابع . فتولى الملك بعده ابنه بمختيار ، وتلقب بمعز الدولة ، وقد أشرف على الخلافة أحد عشر عاماً ، وهو لا يزال عن أمر وليه ، وملك سلبه حتى سلبه ؛ لها بالفوائى الكواعب والتمنيات الكواكب ، فبرز له منافس قوى أوتى نبلاً وبعدة ونباهة ذكر وحسن أحواله هو عضد الدولة ، فدخل بغداد فاتحاً ، وقبض على محمد بن بقية وزير معز الدولة وصلبه على رأس الجسر ، وهو المرتقى بالقصيدة الخالدة لأبي الحسين الأنبارى وأولها:

علو في الحياة وفي المات لحق تلك إحدى المعجزات

في هذا العصر أهل أبو إسحاق ودرج ، وشب واكتهل ، وشاب وهرم ، فلا بدع أن يناله ما ناله ، ولكن البدع أن يخرج من هذا المترك لا عليه ولا له ؛ إذ معنى هذا أنه كان في الأدباء من التكرات ، وفي رجال الدولة من الإمعات ، وإن حياته لتنبئ عن غير هذا ، فقد اعتقل في عصر معز الدولة عند ما ناب عن الوزير المهلبى على ديوان الوزارة والرسائل لخروج الوزير إلى الشام مقاتلاً ، فقتل بهمان ، وقبض على عماله جميعاً وعلى رأسهم أبو إسحاق ومن قوله وهو معتقل :

يا أيها الرؤساء دعوة خادم أوفت رسائله على التعديد
أيجوز في حكم الروءة عندكم حبسى وطول تهدي ووعيدى؟
قلدت ديوان الرسائل فانظروا أعدوت في لفظى عن التسديد؟
أعلى رفع حسام ما أنشأته فأقيم فيه أدلتى وشهودى
ولما فك اعتقاله خدم عضد الدولة وهو بفارس ، بالشعر

والكتابة بفيض عليه المدح ويضئ التناء حتى صار الصابى من جملة خاصته ، وموضع ثقته ومحبته ، ومحل رقه ورضيخته ؛ وحتى هم بالزواج معه إلى فارس بعد حلف عقد بينه وبين معز الدولة الدولة بمختيار خوف سطوته ، وخشية بطشه وفتكه ؛ لتوثق علاقته بمعز الدولة ، ولكنه — وهو من عرفنا رعاية لأهله ، وحدياً على ولده — خاف أن يأخذ معز الدولة البرىء بالذنب ، والمحسن بالسيء ، فينال أهله منه سوء لا يجد لده دقماً ، ويصيبهم منه شر لا يعرف له درء ، فيكون كمن يفدى نفسه بولده ، ويستخلص

دمه بدماء ذوى قرابته ، وما عرفنا فيه خيانة للجار الجنب ، فكيف به يسلم بفيه وذويه ، ويخرج مع البازي عليه سواد ؟ عرف عضد الدولة ما يعتلج في نفسه ، وما يضطرب به فكره ، فجعل أمته في سريره جزءاً من الحلف ، وسلامته في ولده شرطاً من شروط المقد ، فنص فيه على حراسته في نفسه وماله ، وترك نبيه في شيء من أحواله . وبعد مزايلة عضد الدولة بفداد استخفى خالفاً ، واستتر متوجساً شراً ؛ حتى توسل أحد أصدقائه إلى عز الدولة وإلى وزيره ابن بقية أن يهبأ له أمناً ، ويبدلأ له عوناً ، فقبلا التوسل وتركاه طليقاً ، وما لبثا أن قيدها مسجيتاً بأغراء ابن السراج^(١) لها به ، وفي هذا يقول ياقوت في معجمه « وجرت له في هذه النكبة خطوب أشقى فيها على ذهاب النفس ، ثم كفاه الله بأن فسد أمر ابن السراج مع ابن بقية بما عامله بالملء التي عرضت له ، فقبض عليه ، ونقل القيد من رجل أبي إسحاق إلى رجله^(٢) » وفي محبسه هذا كتب إلى ابن بقية يستمطفه ويستميحه :

ألا يا نصير الدين والدولة الذي رددت إليها المرز إذ قالت رده أبعجزك استخلاص عبدك بعدما

تخلصت مولاك الذي أنت عبده ؟
وصفا له الجؤ ، وهدأت عواصف الشر ، فاستخدمه عز الدولة فأخلص ، واصطفاه فكان نعم المصطفى ، وكتب له كتباً كانت مثار حق عضد الدولة ، ومدار إحنه ، ولشد ما غضب عندما أنشأ كتاباً عن الخليفة الطائع لله يشيد فيه بمز الدولة ، ومنه « وقد جدد أمير المؤمنين له (أى لعز الدولة) مع هذه المساعي السوابق ، والعالى السوامق ، التي يلزم كل دان وقاص ، وعام وخص ، أن يعرف له حق ما كرم به منها ، ويترحز له عن رتبة المائلة فيها » فقد أحفظه هذا التعريض أعظم حفيظة ، واضطن عليه أشد ضيقاً ، فلما ملك بفداد سنة سبع وستين وثمانمائة هجرية أمره أن يؤلف كتاباً في مناقبه ، وفي آثار الدولة السيلية ، وذكر فتوحها ، فأطاع . وبينما هو في تأليفه وتصنيفه ، وتسويده وتطريسه

(١) هو محمد بن المظفر بن السراج ، ترجم له الفهرست في كتابه في الجزء الثالث فيما قال : إنه مات تسع سنين من حمادى الأولى سنة عشرين وأربعمائة ، عن أربع وسبعين سنة
(٢) الجزء الثاني من ٣٦ « الطبعة الأخيرة »

زاره في داره عدو في ثياب صديق ، وسأله عما يعمل ، فزعم عنه أنه قال : أباطيل أنعمها ، وأكاذيب ألغها ، فركت القالة للزعومة في عضد الدولة كوامن غيظه ، وأثارت منه عواجل ضفته ، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة ، ولولا أن استشفع فيه من أصدقائه نصر بن هرون ، ومطهر بن عبد الله ، وعبد العزيز بن يوسف ، لكان في ذلك اليوم من المالكين ؛ فقد أقبلوا على الأرض بقلوبها بين يدي ملكهم ضارعين مستشفعين راجين متوسلين ؛ حتى صدر أمره باستحيائه مع اعتقاله ، واستصفاء أمواله ، فبقى في معتقله هذا ثلاث سنوات وسبعة أشهر وأياماً ، وإن جاء ذكرها في شعره أربعاً على سبيل التجوز في قصيدة يسترحم بها عضد الدولة ، وقد خرج لزيارة مشهد أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأولها :

توجهت نحو الشهد الملم الفرد على النين والتوفيق والطار السعد
ترور أمير المؤمنين فيأله وذاك من مجد منيخ على مجد
فلم ير فوق الأرض مثلك زائراً ولا تحنها مثل الزور إلى اللحد
وفيها يقول :

أمولاي : مولاك الذي أنت ربه إليك على جور النوائب يستعدي
وهذى يدي مدت إليك بقصة أعيدك فيها من إباء ومن رد
أناى شتاء ليس عندي دناره

سوى لوعة في الصدر مشبوبة الورق
فلو أن برد الجلاء عاد إلى الحشا وفار الحشا الحران منى على الجلاء
أزحت لنفسى علناها فأعرضت
عن البث والشكوى إلى الشكر والحمد
وداويت داءى التقيظين ذابنا أعدل إقراطاً من الضد للعد
ومنها :

فلا تيمدنى عنك من أجل عثرة فإن جباد الخيل تعثر إذ تحدى
ولو كنت تنفى كل من جاء غططاً إذن لعممت الناس بالنفى والطرده
ومن زل يوماً زلة فاستفأها فذاك حقيق بالهداية والرشد
توالت سنى^(١) أربع ومدامى لها أربع كالمسلك سل من العقد

(١) كذا باليتمه وهو تحريف ولعلها سنون ، ودخل الضميمة الثانية القبس ، وفي البيت الأخير جاءت رؤيا مقصوداً بها البصرية ، فحيثما حجة معاضدة لمن يقول إن الرؤيا تصدق على الحلية والبصرية

أحرم إلى رؤياك كما ألهما

حيام المطاش الناطرات إلى الورد

ويدولى أنه أفرج عنه عقب هذه القصيدة ، ولكنه ما سلم حتى ودّع ، وما هنيء حتى ووسى ؛ إذ قبض عليه مرة أخرى عند ما فتح بغداد للمرة الثانية بعد أن استشفع لديه قبل وصوله إليها بأبي سمد بهرام بن أردشير ، وسأله أن يذكروه لدى عضد الدولة ، ويقم له عذره ، ويوضح له أمره ؛ فكان جواب عضد الدولة العفو والمغفرة في كتاب طويل منه : « ومن كانت به حاجة إلى إقامة مدبرة ، واستقالة من عثرة ، أو الاستظهار في مثل هذه الأحوال بوثيقة ، فانت مستغن عن ذلك بسابقتك في الخدمة ومثلتك من الثقة ، وموقعك لدينا من الخصوص والرفقة » . ومنه : « فاسكن إلى ذلك واعتمده ، ولك علينا — الوفاء به — عهد الله وميثاقه ، وقد حملنا أبا سمد — أعزّه الله — في هذا الباب ما يذكركم لك . والله نستعين على النية فيه وهو حسبنا »

ودخل عضد الدولة بغداد وهو عنه راض ، وبرحما إلى الموصل وهو إلى ولاء الصابي مطمئن ، ولكن الوشاة — وما أكثرهم — نبشوا الدفائن ، وأخرجوا كتباً من عز الدولة إلى أحد عماله بخط الصابي ، وفي بعضها قدح في عضد الدولة ، ورفعوها إليه ، فكتب من الموصل بالقبض عليه ، وأمل حديثه هو عن نفسه أدق من حديثنا عنه ، فهو يقول :

« كنت^(١) جالساً بحضرة أبي القاسم المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة في يوم القبض عليّ إذ وردت التوبة ، ففضت بين يديه وبدأ منها بقرأة كتاب عضد الدولة ، فلما انتهى إلى فصل منه وجم وجوباً بأن في وجهه ، فقال لي أبو الملاء صاعد بن ثابت : أظن في هذا الكتاب ما ضاق صدراً به ، وقت من مجلسه لأنصرف ، فتبني بعض حجابيه ، وعدل بي إلى بيت من داره ؛ ووكل بي ، وأرسل يقول لي : لعلك قد عرفت معنى الانزعاج عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم ، وكان ذلك لما تضمن من القبض عليك ، وأخذت مائة ألف درهم منك ، وفسني أن تكتب خطك بهذا المال ، ولا تراجع فيه ؛ فوالله لا تركت

(١) كتاب معجم الأدباء . الجزء الثاني ص ٤٠ الطبعة الأخيرة

ممكناً في مموتك وتخليصك إلا بذلته . وقد جمعت اعتقالك في دار ضيافتي ، فطب نفساً بقولي ، وثق بما يتبعه من فعلي » كما قبض على ولديه أبي علي الحسن ، وأبي سعيد ستان ؛ وقد وفي الوزير أبو القاسم بما وعد ، فدأل عضد الدولة إطلاقه واستخلافه لقيام أبي القاسم على رأس جند لقتال صاحب البطيحة ، فقال له :

أما العفو فقد شفعتك فيه ، وبينني أن تمرّفه ذلك وتقول له : إننا قد غفرنا لك عن ذنب ، لم نغف عما دونه لأهلنا يعني : عز الدولة والديلم ، ولأولاد بيتنا — يعني : أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الوسوي ، ولكننا وهبنا إساءتك لخيمتك وعلينا^(١) المحافظة فيك على الحفيظة منك ، وأما استخلافك إياه بحضرتنا فكيف يجوز أن ننقله من السخط والتكبة إلى النظر في الوزارة ولنا في أمره تدبير ، وبالعاجل ، فتحمل إليه من عندك ثياباً وثقّة وتطلق ولديه ، وتقدم إليه عنا بمعمل كتاب في مفاخرنا . فحمل إليه المطهر ما أمر به الملك وأطلق ولديه ، ورسم له تأليف الكتاب وبقى الصابي في محبسه يؤلف حتى أتم المؤلف ، فلم يفرج عنه لوقته بل قيل : إنه آخر الافراج عنه سنة ، فلما رفع إليه إحدى قصائده يطلب فيها الصفح عنه والافراج ، قرئت عليه ولديه بعض أسدقاء أبي اسحاق ومنهم أبو الريان حامد بن محمد وعبد الله بن سعدان قبلاً الأرض وقال أحدهما : إن من أعظم حقوقه علينا وذرائعنا عندنا أن عرفناه في خدمتك ، وخالطنا في أيامك . قال : فأننا كان رأيكنا فيه ، فأنفذا وأفرجنا عنه ، وتقدما إليه بملازمة داره إلى أن يرسم له ما يليق بمثله ، فأفرج عنه قبل وفاة عضد الدولة بأيام ، وقيل بل بقى في السجن حتى أفرج عنه ابن عضد الدولة أبو الحسين تاج الدولة

وإني أرجو غير فاجر أن أكون قد وفقت في سرد وقائع هذا الجزء من حياته ، وقربت بين الروايات المتضاربة عن اعتقاله ، مستنداً في ذلك الترتيب على التاريخ السياسي للدولة البويهية ، وفي المقال التالي نتحدث عن كتابته

عبد العظيم علي ثنوي

(١) ضبط شارح للدم المحافظة بالضمّة وأرى أنها مفتوحة لاسمها معقول « لعل » وهو فعل متعدّ يأتي المضارع لا أنها مبتدأ مؤخر ، وسياق السارة يؤيد هذا الرأي

علاقة الدين بين العرب والصين بقلم بدر الدين الصيني

معنفات الصين القديم

كان للصينيين دين قبل وصول الديانات الأجنبية إليهم مبني على الأوهام والخرافات ، كما كان الشأن في كل أمة من الأمم في الأزمان النابتة ؛ واتخذوا الأجرام السماوية والظواهر الطبيعية معبودات لم غير معتقدين بخالف جبار يخضع لتصرفه كل شيء من الموجودات والكائنات ، فكثرت فيهم الآلهة وتنوعت طرق عباداتهم (١)

فالحكام الذين ظهروا في أرض الصين بمد زمن الخرافات وطولوع فجر التاريخ الصحيح ، في شخصيات « لوتس Laoze » و « كانفوشيوس Confucius » و « مونشيوس Moncius » و « ما تي تس Maitze » ، لم يأت واحد منهم بنظام ديني يسير عليه الصينيون كافة . إلا أنهم جميعاً معتقدون بما وراء الطبيعة ، فشكلاً « الطريقة » عند « لوتس » هي شيء ليس بصورة ولا صوت يبقى دائماً ، لا يفنى أبداً ، ووجوده قبل كل كائن مصدر لجميع الموجودات وروح تحيا بها . فهذا التعريف لطريقة « لوتس » يوافق ما نعتقد بصفات الله . وأما « السماء » في عقائد كانفوشيوس فهو صاحب السلطة الأخير الذي إذا أغاظه الإنسان بارتكاب الكبائر فلا سبيل له إلى النجاة ، فذلك يقول : « أين الدعاء من إغاظه السماء ؟ »

لا فرق بين « سماء » كانفوشيوس و « سماء » مونشيوس لأن الثاني تلميذ الأول ، فهو يحذو حذوه في التفكير والبحث الفلسفي ؛ وأما « ما تي تس » فدينه دين المحبة واللواحاة ، يجب الصلاح والسلام ويكره الفساد والقتال ؛ ومبادئه تشابه مبادئ حب الدين المسيحي ، وأصول أخوته تماثل أصول أخوة الإسلام ؛ لكنه لم يضع نظاماً لإظهار هذا الحب وهذه الأخوة

(١) إلهيات الصين ص ١٢

فالكف عن القتال والنهب والامتناع عن السرقة والحمد في اعتقاده من دواعي التحاب ومقويات التأخي ، وغير ذلك هذه الديانات كلها تخالف الإسلام في مسئلة الحشر والنشر والحياة بعد الموت من جهة الاعتقاد ، وفي مظاهر العبادات من حيث العمل — لأن أهلها لا يعتقدون بالحشر والنشر ، ولم يأتوا بنظام خاص للعبادات — لعل هذا هو السر الذي يبقى أهل الصين في معتقداتهم القديمة مع أن أغلبهم دانوا بالديانة البوذية التي أسلمها من الهند ، وهذا الدين لم يحدث في اعتقاداتهم شيئاً من التغيير ، مع أن الديانة البوذية قد أثرت في أدبيات الصين وفلسفتها تأثيراً يينا . فرجل الدين من أهل الصين يدين بمجموع عقائد ومبادئ هذه الديانات المذكورة ، فذلك ترونها يتبعون على مبادئ كانفوشيوس حيناً وعلى « طريقة لوتس » حيناً آخر ، مع أنهم يتعصبون للبوذية إن دانوا بها ، أو للمسيحية إن كانوا مسيحيين . هكذا شأنهم في أمر الدين حتى الآن

دخول الديانات الأجنبية إلى الصين

معتقدات الصين القديمة التي ذكرتها آنفاً ، بطبيعتها ومبادئها لا تنافي الديانات الأجنبية التي كانت سائدة في آسيا أوسطها وأدناها ، فسهل على البوذية أن تنسرب إلى الصين عن طريق تركستان في القرن الثاني للميلاد ، وامتزجت بمعتقدات الصين ، فصارت الآن ديناً شبه دين الدولة في الشرق الأقصى ؛ مع أن مذهب كانفوشيوس أو « طريقة لوتس » أجدر بهذا الاحترام ولها نفوذ في كل ناحية من نواحي حياة الشعب الصيني بظل باقياً حتى ينقلب أثر الإسلام إن قدر الله للإسلام نهضة جديدة في تلك الديار في المستقبل

من الديانات الأجنبية التي تنسربت إلى الصين قبل الإسلام المانوية والمجوسية والنسطورية ؛ فدخول المانوية الصين كان في القرن السابع للميلاد جاء إليها من تركستان لأن أغلب أهلها قد اعتنقوا هذا الدين قبل ظهور الإسلام ، فانتشروا رويداً رويداً إلى شمال الصين وغربها حتى أسس المابدي لمعتقد في الشطر الأول من القرن الثامن للميلاد في بعض المدن الشهيرة ، ولم يهاكل كثيرة في ولايات « هانان Hanan » و « شانسي Shansi » وكثرة أصحاب هذا الدين يمكن أن نعرفها من الواقعة التي وقعت

وكان لهذه الديانة قدم ثابتة في نفوس الصينيين ، ولعلها تؤثر في حياتهم إلى حد ما إذا طال أمدها في الصين ، لكن مشيئة الله لم ترد انتشار هذه الديانة في الشرق الأقصى فطرد مبشروها ، وهدمت معابدها في أواخر القرن التاسع للميلاد ، وحكاية الراهب النجراتي أيضاً تشير إلى ذلك

الخطوط التاريخية فيما يتعلق بدخول الإسلام إلى الصين

لقد أطلت في ذكر هذه البيانات الأجنبية مع أن محور بحثي في هذا الموضوع هو دخول الإسلام ، وإن مصطراً إلى أن أصل هذا لأن الأغلط التاريخية التي تتعلق بدخول الإسلام لا يمكن أن تستدرك إلا بمعرفة تواريخ هذه البيانات ودخولها إلى الصين . لقد قيل إن الإسلام قد وصل إلى الصين في عهد « كائي وانغ - Kai - Wang » من « أسرة هوي - Hui Dynasty » ومعنى ذلك أن دخول الإسلام الصين قد وقع بين سنتي ٥٨٩ و ٦٠٥ م ، وهذا مستحيل لأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يمت بالرسالة إلى العالم كافة إلا سنة ٦١٠ م

ومن رأي أن القائل بهذا القول قد أخطأ في هذه النقطة فحسب المجوسية التي دخلت الصين في أواخر القرن السادس للميلاد دين الإسلام الذي دعا إليه صاحب الرسالة بعد نبوته ، مغالطاً في دليله إذ قال إنها ديانة جاءت من « الغرب » بالعين^(١) ففهم من « الغرب » « العرب » ووقع في خطأ فاضح دون أن يشعر أن الإسلام لم يكن له وجود في جزيرة العرب قبل سنة ٦١٠ من تاريخ الميلاد . فظهر من هذا الاستقراء أن الدين الذي وصل إلى الصين في عهد « كائي وانغ » كان في الحقيقة المجوسية لا الإسلام . وعندنا شهادة تقليدية في الكتب الصينية غير تلك الدلائل العقلية التي أشرت إليها آنفاً ، ونعرف أن بعض المجوسيين قد وصلوا إلى « تشانغ آن » في أول عهد « كائي وانغ » وأنشأوا المابد وكانوا يفتنون في صلواتهم فيها . ومن أناشيدهم الدينية نوع يقال له « موفوش »^(٢) يوجد ذكره في « ديوان أغاني الصين » وفسر صاحب الديوان هذه الكلمة بأنها نوع من الأغاني الدينية

في عهد « ووشونك » (٨٤١ - ٨٤٦ م) . وكان هذا الامبراطور منشئاً « بطريقة لوتس » وسمعيها لها ، فانطهد أهل الديانات الأخرى وهدم كثيراً من معابد المانوية والمجوسية والنسطورية . فقتل في عاصمة الصين وحدها ٧٢ نسمة من راهبات المانوية ، ففنت هذه الديانة من الصين بمدد^(٣)

أما المجوسية ، كما أشار إليها سليمان السيراقي والسعودي وغيرهم من كتاب العرب ، فدخلت الصين قبل الإسلام على الأقل بقرن ، ولكنها لم تنتشر إلا في دائرة محدودة . فلما فتح العرب إيران وقضوا على دولة كسرى مرّ يردجرد إلى الشرق ولحقا إلى عاصمة الصين ، فأنشأ فيها معبداً للمجوسيين ، وكان معه جماعة من علماء المجوسية فبثوا دعائهم في شمال الصين ، لكن هذه الديانة غير مقبولة عند الصينيين . فالذين دخلوا فيها قليلون جداً . وقد حيت آثارها في سنة ٨٤٦ م كما أسلفنا

وأما الديانة النسطورية فوصلت إلى الصين في سنة ٦٣٥ م ، وذلك بناء على ما ثبت في كتابة تاريخية^(٤) وجدت بمدينة تشانغ أن Chang-An وأول من جاء إلى الصين للدعاية إلى النسطورية كان رجلاً يدعى أولوين Oloupin^(٥) ويظهر من تاريخ الصين أنه استوطن تشانغ ، وأنه بنى معبداً للنسطوريين يسكن فيه واحد وعشرون راهباً ؛ وكان أولوين رئيسهم ؛ ثم انتشرت هذه الديانة في بعض العواصم وأنشأوا معابدها فيها ، فنقشوا أعمالهم في الألواح الحجرية ونصبوها في المعابد تذكيراً وتخليداً ، فالعبارات التي نقشت في هذه الألواح مدونة الآن في تاريخ الصين العام^(٦)

وبعض الكتب العربية يذكر أيضاً ذهاب النسطوريين إلى الصين . مثل ابن النديم ، فإنه روى في الفهرست أن الجاثليق قد بعث سحنة من علماء النساطرة إلى الصين للإرشاد والدعاية فأت منهم خمسة ورجع سادس وهو من أهل نجران إلى الروم بعد الإقامة بالصين نحو ست سنين في سنة ٣٧٧ هـ^(٧)

Yung Tung Chiang ; out line of Av Chine Civilization; (١)

P. 269.

(٢) أريد بكتابة تاريخية ما تسمى Inscription بالانكليزية

Hirth : China and the Roman orient , P. 236. (٣)

Out line of the Chinese Civilization; P. 267 (٤)

(٥) ابن النديم ص ٤٩١

(١) والبراد من « الغرب » في الكتب الصينية القديمة ما يقع في حرب الصين إلى البحر الأبيض واستبول

The Chinese (Dictionary) P. 223. (G. Section) (٢)

هكذا قال زرادشت

للأفلسوف اليوناني فريدريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

العبارة الفاسرة

وسار زارا يقطع أبعاد البحر تساوره مثل هذه المعلوم ،
وتدور به مثل هذه الأمرار ، حتى إذا تخطى مجال أربعة أيام عن
الجزر السعيدة وما ترك عليها من صعبه ، اشتدت عنيمته فنقلب
على آلامه ، وثبتت قدميه في موقفه متجهاً إلى مقدراته مناجياً
سريرة وقد عاد إليها مرحها وسرورها قائلاً :

لقد فرغت إلى عزلي لأنني تفت إليها ، فأما الآن منفرد
أمام صفاء السماء ومدى البحار ، وقد خطا النهار إلى عصره وما
التفتت بأصحابي للمرة الأولى إلا في وقت العصر ، وفي مثل هذا
اليوم اجتمعت بهم للمرة الثانية . والمصر هو الساعة التي يبدأ
فيها اضطراب الأنوار جميعها لأن السعادة الداهية بدواً منشورة
على مسالكها بين السماء والأرض تنجس إلى الاستقرار في روح

للمجوسيين الذين وردوا إلى الصين في عهد « كائي وانغ » وهذا
دليل قاطع يرد على من يدعى دخول الاسلام في هذا العهد

أما اتصال الاسلام بالصين فكان عن طريقين : طريق البر
وطريق البحر . كان قتيبة بن مسلم الباهلي الذي فتح كاشغر في
سنة ٩٦ هـ ، هو الأول الذي بعث وفداً من العرب بطريق البر
إلى امبراطور الصين في أواخر تلك السنة فمروا عليه أحد
الأمر الثلاثة : الاسلام والجزية والمخارية . ولابن الأثير في هذا
الوفد أقوال طريفة توجد في تاريخ الكامل ، وللقاري أن يرجع
إليه في هذا المبدد ، وأما وصول الاسلام إلى الصين بحراً ففيه
اختلاف بين المؤرخين في سنة الوصول وفيمن هو أول من جاء
بالاسلام إلى أقرب مصافي الصين « كانتون »

(لها بقية)

بدر الدين الصيني
مضمون البعثات الصينية
بالأزهري الشريف

الضياء . وما إن السعادة تحول اضطراب النور إلى سكون
فيالمصر حياتي ! إن سعادتي هي أيضاً قد انحدرت يوماً إلى
إلى الوادي تطلب مستقراً فلقيت هذه الأزواج النيرة فتفتح لها
الملجأ الأمين
يا مصر حياتي ! لكم تخلت عن أشياء في الحياة توصلاً
إلى منارس أفكارى الحية وإلى أنوار المباح تدور في ذراتها
أسمى أمانتي وآمالي

لقد طلب المبدع يوماً وقفاً له وقتن عن أبناء آماله فأدرك
أنه لن يجدهم إذا هو لم يخلقهم خلقاً
لقد أتممت نصف مهدي بأبجائي نحو أبنائي وبعودتي إليهم ،
وقد وجب على زارا أن يبلغ نفسه الكمال من أجل هؤلاء
الأبناء . وما يجب للإنسان من صميم قلبه إلا ابنه ونتيجة جهوده ،
وحيث يتجلى الحب الأشد فهناك تكن القوة المولدة ؛ ذلك
ما أدركته بتفكيري

إن أزهار أبنائي لا تزال تنفتح في الربيع والريح تهب على
صفوفهم فتهزها ؛ فأبنائي أشجار حديقتي ونبت خير أراضى
إن هذه الأشجار متراسة في منابتها على الجزر السعيدة ،
ولسوف أقتلها واحدة فواحدة لأغرسها منفردة فتعلم احتمال
العزلة وتنشأ فيها الأنفة والحزم لينتصب كل منها تجاه البحر وقد
تعدب جزعها وتقدت أغصانها كمنار حية لبقاء القاهر

على كل شجرة أن تشخص في مهيب المواصل الترامية إلى
البحر حيث يتدافع النمر إلى قاعدة الجبل فلا تنفل ليلاً ونهاراً
عن تفحص سرائرها . عليها أن تتحمل التجارب ليعلم أنها من
سلالتي وأنها تجددت من أصلي تميزها الإرادة المجالدة فتبدو
صانعة حتى عند ما تتكلم ، وإذا ما استسلمت تبدو معطية وهي
آخذة . وهكذا يتحول من يمشي على أثر زارا بأضرابه وبإبداعه
إلى شخصية تحفر شريعتي على ألواح فيكتمل بذلك كل شيء .
وهأنذا من أجل هذه الشخصية وأمثالها أسرى إلى تكوين
شخصيتي فأمتنع عن ورود السعادة مقتحماً كل شقاء في آخر
تجربة أحملها لأدرك سريري

لقد آن الأوان لرحيل وقد نهني إلى وجوب الرحيل
خيال المسافر وأطول الأزيان وأعرق الساعات صمتاً إذ نفخ

الريح في فتحة القفل فتراجعت درفة الباب قائلة : هيا
ولكنني كنت مفيداً بحبي لأبنائي بأسرني تشوق إلى هذا
الحب لأصبح نريسة لهؤلاء الأبناء فأخني من أجلهم نفسي :
وما الشوق عندي إلا صورة ظاهرة لحقيقة نثائي . إن أبنائي لي
وفي هذا التملك يجب أن يضمحل كل شوق مستحيلاً إلى
عقيدة مكينة

وكان رأسي يلتهم بشمس محبتي فأحرق بحرارة دمي فرأيت
أشباح الشكوك تدور بي من كل جهة فتعميت أن يلفحني قر
الثناء حتى تصطك أسناني من رعشة الصفيح ، وما عم أن
اكتسح نفسي ضباب الجليد ، فسق الماضي لحوده وبعث منه
الآلام التي دفنت وهي حية فيها ، وما تناولها الفناء لأنها كانت
نائمة طي أكنافها

وكان كل شيء يشير إلى بأن قد حان زمن الرحيل ولكنني
كنت لا أُنقبه إلى هذه الدعوة حتى تحركت أعماقي ولستني
تأثرت أفكاري . وبألت لي القوة للتغلب على ارتعاشي عندما
أشعر بقوة التفكير في أغوارى نحاول أن نحترق لها متفدأً ، فأبني
لا أزال أحس باختلاج قلبي عندما أتصت لدييب أفكاري وهي
تحاول الانجلاء لي . إن في صمتك نفسه أيتها الفكرة ما يشد
على عتي وأنت أشد صمتاً من أغوارى . ولكم حاولت أن
أستخرجك من الأعماق أيتها الفكرة تخافني العزم واكتفيت
بإضماري إليك في ذاتي . إنني لم أنصل بعد إلى جراءة الأسد وإلى
منتهي إقدامه

إنك لجدت ثقيلة في أغوارى أيتها الفكرة ولسوف أجيد يوماً
قوة الأسد وأخذت لصوتي زئيره فأرغمك من النور إلى المنبسط ،
حتى إذا ما تغلبت بذلك على نفسي تدرجت إلى انتصار أعظم
أختم به أعمالي . وإلى أن أبلغ هذا الظفر سأبقى نائمة على بحار
لا أعرف لها ساحلاً تداعبني خطرات الأحداث فأثقلت إلى
ما ورائي وإلى ما أمامي ولا أعلم أين المنتهى
ألم تحن بعد ساعة جهادي الأخير أم هي ماثلة أمامي الآن ؟
والحق أن البحر والحياة يحيطان بي بجهاهما الفئتان وبعقلان
أبصارهما على

فيالمصر حياتي ، يا للسعادة تتقدم ساعة المساء ، يا للفرسي
في وسط الباب ، يا للسكون في قلب الارتباب ، إنني أحاذر كن
ولا أتق بكن جمعا

أما والحق إنني أخشى جبالكن القدار كما يخشى الماشق
ابتسامة تجارزت حد التلطف في افتراها . إنني أرفع عني ساعة
السعادة كالشيور يصد عن محبوبته ولما يزل العطف يتجلى في
فسوته وجفائه

بعداً لك أيتها الساعة السعيدة ! فقد اجتاحتني بحولك غبطة
قاسرة وأنا أتوقع أعمق الأحزان . لقد جثني في غير الألوان
بعداً لك أيتها الساعة السعيدة ! اذهبي واطلبي لك ملجأ
هناك في مقر أبنائي ، سارعي إليهم وباركهم قبل حلول المساء
وأنيلهم سعادتي

لقد اقترب للنفس وجنحت الشمس إلى الغروب فتوارت
عني سعادتي
هكذا تكلم زارا ...

وبأت يتوقع نزول شقائه به طوال ليلة ، غير أنه انتظر عبثاً
إذ بقي الليل منيراً ساكناً واستمرت السعادة تخطو مع الساعات
مقربة إليه . وما لاح الفجر حتى بدا زارا بتضاحك قائلاً :

إن السعادة تتأثرني لأنني لا أتأثر النساء ، وهل السعادة
إلا امرأة ؟

قبل بزوغ الشمس

أيتها السماء الرافعة قبائها فوق رأسي نقية صافية ، أيتها
السماء السحيقة وقد غادرت في أبعادك الأنوار ، إنني أشخص
إليك فتتملكني رعشة الأشواق الإلهية

أنا لا أسبر أغوارى إلا إذا سموت إلى عليائك ، ولا أشعر
بطهارتي إلا حين يجالني صفاؤك

إنك تحجبن نجومك كما يتلفع الإله بستانه . أنت صامتة
وبصمتك تدينين لي حكمتك

لقد تجليت لي اليوم في سكونك على زيد الآفاق فأعلنت لروحي
المزبدة ما فيك من حب وعفاف . جئت إلي جميلة مقنعة بجبالك
تخاطبيني بلا كلام وتعلنين حكمتك وما كنت أعلم ما في روحك
من عفاف . أتيت إلي قبل بزوغ الشمس أنا النفردي عزلي
أنا وأنت صديقان منذ الأزل فأحزاننا واحدة كارتياعنا ،

وعمق أغوارنا وشمسنا واحدة أيضاً . وما ثناحي إلا لوفرة ما نعلم
ثم يسودنا الصمت فتبادل ما أعرف وما تعرفين بلغة البسات . أفا
بشت أنوارك من ممكن أنوارى أفليست فكرتك أختاً لفكرتي ؟

لقد تعلمنا كل شيء سوية وتدرّبنا سوية على الاعتلاء فوق ذاتنا متجهين إلى صميمها مبتسمين باقترار لانكساره النجوم . وبلقنات صافية تفرقها في سحيق الابداد في حين تسدافع كالأمطار تحتنا النزعات المكبوتة وأهداف الأخطاء

إلى مَ كانت تتوق نفسي عند ما كنت أذهب في الليل شاردًا على مسالك الضلال ؟ وماذا كنت أطلب في تسلي الجبال نحو قممها ؟ أمّا كنت أنت مقصدي أيها السماء . وهل كانت أسفاري جميعها إلا ذهابًا مع حافظ التدريب ؟ وهل كان لإرادتي من هدف غير التحليق في الأجواء ؟ وهل أبغضت شيئًا بغض الغمام وكل تقاب يلفع الضياء ؟ لقد كرهت بغض نفسه لأنه يعكر صفاءك أيها السماء

إنني أفقر من هذه النجوم عر كأنها قطط برية ترحف زحفًا لأنها تحتلني مني ومنك أيها السماء الحقيقة الإيجابية الثابتة في كل شيء ؟ فأنا وأنت تنفر من هذه الدخيلات المكبرات من هذه النجوم الكاسحات ، فما هي إلا كائنات مختلطة في نوعها يسودها التردد فلا تعرف أن تلحن باخلاص ولا أنت تبارك باخلاص . وخير لي أن أجا إلى منارة أو أسقط في هاوية من أن أقف أمامك يا سماء الضياء وقد عكرت صفاءك النجوم الكاسحات . ولكم وددت لو أنني أسمر أردانها على آفاقك بسهام البروق النهمية ثم أنزل عليها العبود نهوى قاصفة على مرآجل أحشائها . إنني أود قرعها بصا القبط لأنها تحجب عني حقائقك أيها السماء الممتدة بأغوار أنوارها فوق رأسي كما تحجب حقيقتي عنك

خير لي أن أسمع هزيم الرعود وولولة العواصف من أن أنتصت إلى مواء هذه المهررة الزحافة للترددة . ففي المجتمع أمثال لهذه النجوم يسرون مترددين بخطوات الدثاب وقد وقفت أشد بغضى عليهم « على من لا يعرف أن يمنح البركة أن يتعلم إزال اللعنات » ذلك ما ألهمنيته السماء الصافية مبدأ ينير سبقي كالكواكب في أشد الليالي قتامة

ما دمت فوق أيها السماء الصافية التالقة بالأنوار فإنني لا أقطع عن منح البركة وإيراد يائي إيجابًا وتأكيدًا لأنير بعقيدتي جميع الأغوار المظلمة لقد جاهدت طويلاً حتى أصبحت مباركاً ومؤكداً . وما

ناضلت إلا لأحرر ذراعي فأبسطهما للبركة ؛ وتقوم بركتي على الاعتلاء فوق كل شيء كمانعلى السماء والسقوف الكورة وقباب الأجراس والنبطة الداعة . فطوبى لمن يبارك هكذا . لأن كل الأشياء قد تمعدت من ينبوع الأبدية وماوراء الخير والشر ؛ وما الخير والشر إلا خيالات عابرة وأحزان بليدة وغيوم يتراكنة إلى الفناء والحق أن من البركة لا من اللعنة أن نعلم بأن فوق كل شيء تمتد سماء الصدفة وسماء البراءة وسماء الحيرة وسماء الاضطراب إن كلمة الصدفة لأقدم ما في العالم من نسب للأشياء ؛ وقد أرجعت كل الأشياء إلى هذا النسب التليل فأقتنصها من عبودية المقصد والمهدف . وهكذا رفعت الحرية والنبطة الساوية عاليًا ونصبتها كالقباب فوق جميع الأشياء إذ علمت أن ليس من إرادة أبدية تملو بها لتبسط مقاصدها فوقها

لقد وضعت حدًا لهذه الإرادة بل لهذا الجنون وهذا الاضطراب عندما علمت أن الوقوف عند الحقيقة كان مستحيلًا وسيتق مستحيلًا . فاهناك إلا قليل من التمثل وذرات من الحكمة تطلقها الكواكب لخيرة امتزجت بالأشياء جميعها ولولا الجنون لما امتزجت بها

ليس للإنسان أن يعطي من الحكمة إلا قليلًا . غير أنني وجدت في كل مكان عقيدة لها سعادتها وهي تفضيل الرقص على أرجل الصدفة الممياء

فيا أيها السماء الممتدة فوق رأسي ، أيها السماء الصافية التملية ، لقد أصبح كل صفاء فيك قائمًا على اعتقادي بأن ليس في الكون عنكبة خالدة ، وليس فيه من الحكمة ما تتسجه المناكب . فلتكن مجالاتك أيها السماء مسرحًا لخطرات السدف الإلهية ، أو فلتكن خوانًا يدحرج عليه الآلهة زردم ، فلام بعلو آدم وجهك الاحمرار ؟ أترى جاء يائي مبهمًا أم وردت بركتي لك لعنة عليك ؟ أم أخجلك أن أنفرد بك فأردت أن أنواري وأكف عن الكلام لأن الفجر قد لاح على الآفاق ؟

إن في العالم من الأغوار ما لا يدركه النهار ، ومن الأشياء ما يجب كتمانها أمامه ، وقد باغتتنا النهار ، فلتفرق أيها السماء الممتدة فوق رأسي بطهرها واضطرابها . أيها النبطة المتجلية قبل بزوغ الشمس ، لقد باغتتنا النهار فلتفرق هكذا تكلم زاردا ... (يفتح)

عروس الماء للأستاذ إبراهيم العريض

لذتُ خلف الفصون في عذبة لا أملها
وحوالى خصرة بكلياً ما يلهيها
من نهر زها على جانبيه محلها
فإذا راقى السما بدا فيها ظلها
وزهور بلوح كالقُرط في الأذن طللها
جاءها الماء قبله ومضى يستقلها
وانبرى الببل الوديع لها يستقلها
فكأن الحياة ثبّت للحب ... كلها

أنا في نشوة أحدت نفسي بما أراه
وأرى ملء ناظرى حياة — هي الحياة
تحت ظل يكاد يشتمل الزهر في مداه
وسكون يمدّه ببلبل بالذي شداه
وكأن الوجود يهيم حولي بما حواه
وإذا بي أحسّ خلقي حراكاً على المياه
فتلفت مستريباً إلى النهر ... من أتاه
آه ... ماذا شعرت في الـ ...

وتواريت في الصخور وجانبت حدّها
وسدّدت الصدوع حول ما اسطمت سدا
حذراً أن تمّ بي قبل أن أستجدها
نظرة كالوميض تبعد العين ردها
لاتلنى بمن رأيت فاضمرت ودها
إذ تمثّلت كالشعاع على الموج قدّها
تهدى منمّناً فترى الماء ضدّها
كلما دافقته جليل بالشعر خدّها

فتمنيت لو دنت لي قريباً كما هي
فأرى شعرها يبللها وهي عاريه
وأرى طرفها تصدّ به صدّ عافيه
وأرى في تورّد الخدّ أشياء ثانيه
وأرى حُتّين وسطبهما بعض غاليه
تستمران في النهر ضي وإن تمنّ جانبيه
وأرى الماء قد كساها على المتن حاشيه
فقدت من مهابة الحسن تبدو ككاسيه

واثنت نحو نائي فأنثى الموج صفها
ترعى فوق صدره يدي ... ما أخفها
فاستوت عنده بحيث ترى العين نصفها
فأمرت على السوا لن بالرفق كنفها
تنفض القطر عن غريبي من الشعر لهما
ثم قامت فطوّق السماء كالربيط خلقها
غير أنى عضضت طرقي عن أن يشفها
هي حورية من الـ ... والماء زفها

وتخيّلت أنني فأنتم في جوارها
حين تنساب بالحريير — وإن لم يوارها
حول ساقين عظيمين — يد^(١) في سوارها
ثم تحنوا لترتدى مانضت من وقارها
فإذا عادت به سرّة في مدارها
أرسلت ظلمة القميص على ضوء نارها
وإذا ما مثت تموجاً ما في مدارها
فتلّنى عليها فضلة من خمارها

واكنست ... ثم أبصرت بي عند انحدارها
فاستقرت ... كأنها صورة في إطارها

ابراهيم العريض

« البحرين »

(١) فاعل « تنساب » في البيت المتقدم

نقيل الأديب

مؤتاز محرقا لتأنيبي

٣٣٥ - سحابة الله !

في (بغية الوعاة) : الشيخ ضياء الدين القرني العنفي العلامة التفتن^(١) كان إماماً عالمًا بالتفسير والرواية والمعاني والبيان والفقه ، وكانت لحيته طويلة بحيث تصل إلى قدميه ، ولا ينأى إلا وهي في كيس ، وإذا ركب تنفرد فرقتين . وكان عوام مصر إذا رأوه يقولون : سبحان الله ! فكان يقول : عوام مصر مؤمنون حقاً لأنهم يستدلون بالصنعة على الصانع^(٢) ...

٣٣٦ - ألم تسمع بفنكة جساس ؟

أبو بكر بن جزى في طيب يهودي :
ورب يهودي أتى متطلياً ليأخذ ثارات اليهود من الناس
إذا جس نبض المرء أودى بنفسه

سرياً ، ألم تسمع بفنكة جساس ؟!

٣٣٧ - كنت أكونه أوره أصفين

في (ألف با) لأبي الحجاج البلوي : دخل جحا^(٣) ذات يوم دار الرحا فجعل يأخذ من قبح الناس ويجعله في قفله فقيل له :

(١) أنكر أستاذ كون (التفتن) في العربية إذ لم يجدهما في (القاموس) واللفظة في اللغة وفي كلامهم . وأورد (الأساس) الفعل و (التاج) المصدر و (اللسان) الاسم والمصدر

(٢) السيوطي : وقع في كلام الشيخ ضياء الدين إطلاق (الصانع) على الله وهو جار في السنة المتكلمين ، واعتقد عليهم بأنه لم يرد إطلاقه على الله وأسماءه توقفية . وأجاب التقي السبكي بأنه قرئ شاذاً : (صنع الله) بصيغة الماضي فنـاكتفي في إطلاق الأسماء بورود الفعل اكنفي يمثل ذلك ، وأجاب غيره بأنه مأخوذ من قوله (صنع الله) وعرف أيضاً على القول بالاكتفاء بورود المصدر . وإن لأعجب من قول القائل إنه لم يرد ، وهو في حديث صحيح : (إن الله صانع كل شيء وصنعتة) أخرجه الحاكم

(٣) جحا معقول عن جاح لا ينصرف ، وجحا خطأ ، وتألف (لاعب بالسيف) وروي كما قال الميداني ، وهناك جحا التابي ، وجحا صاحب التفسير واسمه الحواجة ناصر الدين (توفي سنة ٣٨٠) كما في (نزعة الجليل) وجحا التركي هو العربي ، ولأبي الين الفارسي مؤلف في نوادر جحا يشتمل على ألف ورقة

وفي (أساس البلاغة) : قيل لجحا : على من غالتك ؟ قال : على أمي وأخياني. ضرب ليمن قوته على الضمير

لأى شيء تضع هذا ؟ فقال : لأني أحمق . فقيل له : فلم لا تجعل شيئاً من قحك في قفاف الناس ؟ فقال : كنت أكره إذن أحمقين ...

٣٣٨ - أفتنه مقام هنزؤ

في (سرح العيون) لأبي نباتة المصري : يروى أن المأمون كان قد انحرف عن سهل^(١) بن هرون إلى أن دخل عليه يوماً فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ظلمتني وظلمت فلاناً الكاتب . فقال : ويحك وكيف ؟ قال : رفعتك فوق قدره ، ووضعني دون قدري ، إلا أنك في ذلك أشد ظلماً . قال : كيف ؟ قال : لأنك أفتنه مقام هنزؤ ، وأفتني مقام رحمة . فضحك المأمون ، وقال : فأنك الله ما أهجأك ! ورضي عنه

٣٣٩ - ولكن سلقني أقول فاعرب

في (تاريخ اليمن) لنجم الدين عمارة اليمني : جيل عكاد^(٢) فوق مدينة الزراب وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم ، لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في منازحتهم ولا مساكتهم . وهم أهل قرار لا يظنون عنه . ولقد أذكر أني دخلت زيد في سنة (٥٢٠) أطلب الفقه دون العشرين ، فكان الفقهاء في جميع المدارس يتمجبون من كوني لا ألحن في شيء من الكلام ، فأقسم التقي نصر الله بن سالم الحضرمي بالله لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة . فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه صرت إذا تقيته يقول : مرحباً بمن حشنت في يميني لأجله . ولما زارني والدي وسبحة من إخواني

(١) البيان والتبيين : من الخطباء والشعراء الذين سموا المشعر والخطيب والرسائل الطوال والقصار ، والكاتب الكبار المجلدون (١٠ المجلدات) كما في طبعة هذا الكتاب (السير الحسان المولدة والأخبار المندوبة - سهل بن هرون الكاتب صاحب كتاب (تملة وعفرة) في ملحة كتاب (كملية ودمنة) وكتاب (الأخوان) وكتاب (السائل) وغير ذلك (قلت) : أخبرني التقي (الفانوف) الأستاذ جريس مدنا أن عنده نسخة مخطوطة من كتاب (تملة وعفرة) وقد توفي هذا التقي منذ ستين فهل لحته تلك النسخة البتية ؟

(٢) في (القاموس المحيط) : عكاد كسحاب حين غرب زيد أهلنا نائمة على اللغة الفصيحة ، وفي (التاج) : عكاد كسحاب حين بالين قرب مدينة زيد حرسها الله وسائر بلاد الاسلام ، أهلها باقية على اللغة الفصيحة إلى الآن ، ولا يقيم الغرب عندهم أكثر من ثلاث ليال خروفاً على لسانهم

في زينة أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم فلا والله ما لحن أحد منهم إلا لحنة واحدة تقوموا عليه

٣٤٠ — ما يقول هذا؟

في (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) للحجي :
من بعض الظرفاء بسلام جميل فتمرت فرس في طين أصاب وجه
الذلام منه نزع ، فقال الظريف : « يا ليتني كنت ترابا ! »
فقال بعض المارئين للسلام : ما يقول هذا ؟
فقال : « ويقول الكافر : يا ليتني كنت ترابا ... »

٣٤١ — يعنى مطلق الجمال

في (شفرات الذهب ، ونفع الطبيب) : كان ابن الفارض^(١)
عشاقا يعشق مطلق الجمال حتى إنه عشق بعض الجمال ، وولع به
فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به^(٢) ، فقيل له : لو اشتريته
فقال : المحبوب لا يملك . وزعم بعض الكبار أنه عشق برنية^(٣)
بذلك عطار

وذكر النوصي في (الوحيد) أنه كان للشيخ جوار بالهنسا
يذهب إليهن فيفتنن له بالدف والشباب^(٤) وهو رقص ويتواجد .
وكان أيام النيل يتردد إلى المسجد المروف بالمشبه في الروضة
ويحب مشاهدة البحر^(٥) مساء ، فتوجه إليه يوما فسمع قصاراً
يقصر ويقول :

قطع قلبي هذا القطع لا هو بصفو أو يتقطع

فصرخ وسقط مغنى عليه فصار بقيق ويردد ذلك ويضطرب
ثم ينمى عليه وهكذا

٣٤٢ — الرمن ، الصخر ، الفنى ، السباب

في (العقد) : قال الحجاج بن يوسف لحرم الناعم : ما النعمة ؟

(١) الفارس : الذي يكتب القروم للماء على الرجال بين يدي الحكام
(ابن خلكان ، الثنواب)

(٢) تأنس به : أنسى به

(٣) البرنية : إناء من خزف ، شبه فخارة ضخمة خضراء ووراء كانت
بين القوارير التحال الواسعة الأفواه ج براني (الناج)

(٤) في (شفاء الغليل) : شبابة بالتشديد قصبة الرزم المروقة ،
مولد ، قال :

ومطرب قد رأينا في أماله شبابة لسرور الصر أهلبا

كأنه عاشق وانت حينئذ مضى يديه ثم قلبها

(٥) كل ماء كثير عند العرب بحر

قال : الأمن . فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش
قال له : زدني

قال : فالصحة ، فإني رأيت المريض لا ينتفع بعيش
قال له : زدني

قال : الفنى ، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش
قال له : زدني

قال : فالشباب ، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش
قال له : زدني . قال : ما أجدر مزيداً^(١)

٣٤٣ — ... ما سمعناه في كتاب الرمناني

مسمود الدولة النحوي مقدم الثمراء في أيام الأفضل أحمد
بن بدر الجمالي أمير الجيوش المصرية :

ما أطاقوا تأمل الجيش حتى كحكت كل مقلة بسمان
فغنت البيض في طلائم غناء ما سمعناه في (كتاب الأغاني)

٣٤٤ — خلعت ما لا تملك على من لا يفضل

حكى عن الشريف المرتضى أنه كان جالسا في علية^(٢) له
تشرّف على الطريق ، فرمته ابن الطرزي الشاعر يجر نملاله بالية
وهي تثير الغبار ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال له : أنشدني
أبياتك التي تقول فيها :

إذا لم تبلنني اليكم ركائبى فلا وردت ماء ولا دعت العشا
فأنشده إياها ، فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى
نمله البالية وقال : أهذه كانت من ركائبك ... ؟

فأطرق المطرزي ساعة ، ثم قال له : لما عادت هبات سيدنا
الشريف (أيده الله) إلى مثل قوله :

وخذا النوم من جفوني فإني قد خلعت الكرى على المشاق^(٣)
عادت ركائبى إلى مثل ما ترى لأنك خلعت ما لا تملك على من
لا يقبل ...

(١) في (تاريخ بغداد) : القاضى أبو يوسف (يعقوب صاحب أبي خنيفة)

رؤوس النعم ثلاثة : تأولها نعمة الاسلام التي لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية

نعمة العافية التي لا تتم الحياة إلا بها ، والثالثة نعمة الثنى التي لا يتم العيش إلا بها

(١) العلية (بضم العين وكسر الهمزة) وكسر اللام وتشديد الهمزة والياء

الفرقة والجمع الغلال ، قال الأزهرى : علية (بالكسر) أكثر من علية

(بالتضم) وعلي (بكسر العين واللام وتشديد الياء) جمع علية

(٢) وقيل :

يا خليلي من ذؤابة بكر في الصنار رياضة الأخلاق

غيان بدكرهم نظرباني واسقياني دمي بكأس دهاق



١ - المادة La Matière

كثيراً ما بحث الفلاسفة في المادة من القرون الأولى إلى العصر الحاضر ، ويتلخص بحثها في تقطين أساسيتين :

١ - الوصول إلى معرفة الأسباب التي تجعلنا نعتقد بوجود المادة
٢ - الوصول إلى معرفة حقيقة المادة بمد أن تقبل وجودها
أما وجود المادة ففيه مذهبان : مذهب الرأي العام والحس السليم ، ومذهب الفلاسفة . فالرأي العام يقبل وجودها لأنه كوجودنا ، ولأن الحياة العملية تسمح لنا بالإنهاء في العالم الخارجي دون أن نخولنا حق الشك في وجوده . ففكرة المادة وطبيعتها لا يصعب على الرأي العام والحس السليم بينهما بياناً واضحاً ؛ فإننا نجدها مركبة من معان مألوفة . وكلنا نعتقد أن المادة هي جوهر دائم وراء الأعراض يتغير من صورة إلى أخرى دون أن ينعدم أو يزول . وإذا رجعنا إلى دستور العالم الكيميائي القرنى (لافوازييه Lavoisier) المسمى بمبدأ بقاء المادة للقاتل :

« لا خلق ولا لقاء في هذا العالم بل الكل في تحول » علمنا أن المادة تتحول من شكل إلى آخر ؛ فالحطب مثلاً يتحول إلى رماد وغاز ، ثم تتكاثف الغازات ... وهكذا . فالأداة على كل حال موجودة لا تتلاشى . ونحن نعتقد أيضاً أن المادة غير متجانسة ، فهي تتصف بصفات مختلفة باختلاف الأجسام التي تتركب منها ؛ فكل جسم له مادة لا تشابه مادة الجسم الآخر ؛ فإذ الكبريت غير مادة الصوديوم ، ومادة الصوديوم غير مادة النحاس ، وهكذا . وهذه المادة عاطلة فهي لا تتحرك من نفسها لأنها غير قادرة على تبديل حالة سكوتها بحركة ، أو تغيير شكل حركتها التي هي خاضعة لها . وأما الفلاسفة فقد ذهبوا في وجود المادة مذاهب شتى ، حتى أن (زينون ده ليه . Zénon d'Elé) أحد الفلاسفة الخياليين في القرون الأولى بحث في إثبات وجودها (وكأن ذلك يحتاج إلى إثبات) فقال : إن فكرة المادة لو حللناها لوجدناها مجموعة متناقضات لأن العناصر التي يتركب منها جوهر المادة

ما بعد الطبيعة

MÉTAPHYSIQUE

للأستاذ محمد حسن البقاعي

كان علم ما بعد الطبيعة يعرف في القرون الأولى باسم (الفلسفة الأولى) وأول من أطلق عليه هذا الاسم هو أرسطو . أما مخترع كلمة (ميتافيزيك) فهو (أندرونيكوس Andronicus) من جزيرة رودوس . والسبب الذي دعاه إلى تسمية هذا العلم بما بعد الطبيعة هو أن الفلسفة الأولى جاءت في كتب أرسطو بعد الطبيعيات ، فأطلق عليها اسم ما بعد الطبيعة

أما موضوع ما بعد الطبيعة فهو درس الوجود من حيث هو موجود ؛ فهي تتعمق في الأسباب وتبحث فيها أكثر من كل العلوم ، أي هي تبحث في العال الكافية لنفسها بنفسها والتي تنشأ عن كل العلولات . ولقد حدد الفلاسفة موضوع ما بعد الطبيعة فقالوا : علم ما بعد الطبيعة يدرس الوجود المطلق وهذا الوجود يظهر لنا بصورتين :

١ - الصورة الطبيعية للمادة ٢ - الصورة المعنوية

فعلم ما بعد الطبيعة يدرس الطبيعة والنفس ومباحث الفكر والعالم الخارجي والباطني ، وهو على نوعين :

١ - الكونيات العقلية Cosmologie rationnelle وهو

علم ما بعد الطبيعة الذي يدرس الطبيعة والمادة والحياة ، فهو يبحث إذن في الطبيعة المادية

٢ - النفسانيات العقلية Psychologi rationnelle وهو

علم ما بعد الطبيعة الذي يدرس مسألة الفكر وطبيعته ، والروح وماهيتها . فهناك إذن مسألتان : مسألة المادة ومسألة النفس ؛ وهذان المبدعان محتاجان إلى مبدأ يكون علة لها وهو الإله جل شأنه . فعلم ما بعد الطبيعة يبحث في غاية النيات وهو الله تعالى . ولنبداً الآن بالبحث في المادة التي هي من الكونيات العقلية فنقول :

تأثر من الجواهر وبجملنا ندرك الأعراض الناشئة عنها وقد قسم (بركليس) الأحوال الناشئة في الذهن والصفات الموجودة في الأجسام إلى قسمين : (١) الصفات الثابتة كالحرارة والطعم والنور (٢) الصفات الأولى كالامتداد والمقاومة اللذين لا ندركهما إلا مصحوبين بصفات ثابتة مثل الحرارة والنور والطعم . فالأجسام كلها تستحيل إلى هذه الصفات الأولى والثابتة . ونحن لا ندركهما إلا بالاحساسات — كما تقدم — فكثير من معولات النفس يبين لنا أن الإدراك والوهم متماوان في الطبيعة وأنه لا يمكننا تمييز أحدهما عن الآخر . أخف إلى ذلك أننا عند ما ندرك العالم الخارجي لا نستطيع في عاكتنا أن نحصل عندنا منه إلا فكرة ، والفكرة هنا كل الحقيقة . لذلك فأننا لا نخرج في نفوسنا في كل إدراكاتنا . وهذا هو نفس دستور بركليس القائل : *Etre, c'est être plus* — أى الوجود هو الإدراك . فهل العالم الخارجي موجود لأننا ندركه أم ندركه لأنه موجود ؟ فيحسب دستور بركليس موجود لأننا ندركه ويمكننا في مناقشة أدلة بركليس أن تقتصر على ذكر الاعتراضات التي وجهها الوجوديون على هذه الأدلة ؛ فقالوا إن إحساساتنا ناشئة عن الأشياء الخارجية وهي منتظمة ، ومتفقة لأننا نرى ما يراه غيرنا ، فنحن إذن متفقون بالأشياء التي نراها . فالتوابع التي تخضع لها إحساساتنا تجعلها مقولة في نظرنا . وهذا ما كان يدعى (لينيز) إلى القول : « إن إدراكنا ليست إلا عبارة عن أحلام مرتبط بعضها ببعض ، بل هي أحلام ذات إحساس . أى أنها منبعثة من وجود خارجي » فالوجوديون رفضوا بذلك نظرية الخياليين وقالوا إن العالم الخارجي موجود ... أما البحث في طبيعة المادة فتناول الفرضيات التي دافع عنها العلماء فيما يتعلق بماهيتها وذلك يتخلص في نظريتين عامتين :

١ — نظرية الميكانيكية . *Le mécanisme*

٢ — نظرية الحركة . *Le dynamisme*

فالميكانيكية تستدل في دراسة الجسم الاعتباري الكيفي بالاعتبار السمي . فكل التبدلات في الأجسام يمكن أن ترجعها إلى الميكانيكية وهي تتبدل بحسب تقدم العلم ؛ وأول شكل للميكانيكية هو ما نجده عند ديموقريطس الذي يقول : إن العناصر الأولى في الجسم هي الجوهر الفردي (أتوم) وهو لا يرى ولا يتناهي الجواهر الفردة من طبيعة واحدة ولكن لها أشكالاً مختلفة ؛ ويقدم هذا الجوهر الذي هو متين صلب لا يتبدل حاله ولا وزن له . فتتكون الأجسام ، ولا يوجد في هذه الجواهر

كالزمان والمكان والحركة كلها متناقضة . فالحركة كلها تناقض وعلى ذلك فلا وجود للمادة أصلاً . وهو ينكر وجود الحركة كما ينكر معنى الزمان بالمعنى المعروف ومعنى المكان بالمعنى المألوف . وأدله على إنكار الحركة كثيرة ، منها أن الأرنب إذا لحق أرنباً آخر وكان بينهما مسافة وكانت سرعة الخلق نصف سرعة الأمامي فإنه لا يلحقه أبداً ، لأنه بحسب الحساب الرياضي يلحقه في النهاية ؛ وما لا يستطيعان أن يذهبا إلى النهاية . فترى أن بحثه أوصله في النهاية إلى إنكار وجود المادة . وكان (ديوجين) يمترض على زينون فيمشي ويقول : يا أستاذ ، هاأنذا أمشي فلم تنكر الحركة ؟ وقد بقيت هذه الأدلة إلى زمان (لينيز Leibniz) و (ديكارت Descartes) على بساط البحث ، ولكن (هنري برغسون H. Bergson) رد عليه ردوداً كثيرة ؛ كما أن حساب لينيز (النهاية الصغرى) ليس هو إلا ردأ على زينون وأدله الفاشلة . هذا وإن فيثاغورس وأفلاطون وتلاميذه يقررون أيضاً أن الوجود الحقيقي ليس وجود الأشياء المحسوسة بل هو وجود المعقولات فقط ؛ لذلك فإن رجال الكهف (كوف أفلاطون^(١)) أى الناس كافة لا يرون إلا خيالات حقيقية . قيمة العالم الخارجي في نظر أفلاطون الذي يمد في طبيعة الخياليين هو هذه الخيالات . وقد أعطى أفلاطون للمعقولات وجوداً بالنسبة للعالم الخارجي المحسوس . لذلك فإنه يسمي خيالاً وجودياً أما في العصر الحاضر فقد ظهر أناس دافعوا عن الخيالية أمثال فيخته وهيجل . ولكن (بركليس) أخذ مذهب الخياليين وقال بعدم وجود العالم مستنداً في تحليله إلى المعرفة التي توجد عندنا عن العالم الخارجي ، ولكننا نعلم أن هذه المعرفة الموجودة فينا ناشئة عن الاحساس ؛ وقد دعا أرسطو : الاحساس أول العلم . فهذه الاحساسات التي هي أول العلم وأساسه هي شخصية وكيفية ؛ ومجموع صفات الأجسام يمكن أن يرجع بالنسبة إلينا إلى هذه الاحساسات التي لولا وجودها عندنا لما استطعنا أن نطلع على الأجسام . فالجسم إذن هو مجموع إحساسات إذا حذفت لا يبقى من الجسم شيء . يقول (بركليس) إنني لا أعرف الجوهر ولكنني أعرف المرض . وهل ندرك الأعراض إلا بالاحساسات . فالاحساسات هي تغيرات نفسية (١) يفرس أفلاطون أن النفس عامة أشبه شيء برجال يتكبرون كهفاً لا يخرجون منه أبداً ولا يسمون ماداً يوجد خارجه . ولكن جدرانهم شفافة تنكس خيالات الأشياء الخارجية ، فهم يرون خيالات حقيقية للأجسام . ولا يستطيع أحد أن يرى حقيقة الأشياء إلا الفيلسوف

وعند ما ظهرت هذه الأدلة قبلها العلماء في بادئ الأمر ظناً منهم أنها منتجة . ثم انتقدها كثيرون منهم وأثبتوا بُدْءَها عن كنه الحقيقة . فدليلهم الذي يملنون به أن القدرة في العالم لها كية ثابتة لا يسمح لنا بإرجاع كل القدرة إلى قدرة واحدة . وأول شيء يجعلنا نحجم عن قبول رأى الميكانيكية هو وجود بعض الحوادث التي لا يمكن أن تنعكس ، فلو كانت ميكانيكية لانعكست . فالشمس مثلاً تشرق من الشرق وتغرب في الغرب فهذه لا يمكن أن تنعكس ؛ وهذا دليل واضح على وجود قوة تحركها في هذا الاتجاه . وقد انتقد (لينينز) رأى ديكارت فقال : إذا قبلنا أن الامتداد يجوز أن يكون فيه حركة أو سكون ، فلو فرضنا جسماً مثل (ح) تحرك في هذا الامتداد وصادف جسماً آخر (ب) في حالة السكون ، فهذا الأخير لا يبقى ثابتاً بل يتحرك ، ولكن حركته ليست نفس حركة (ح) بل يقاومه بكتلة ، وهذه الكتلة تنقص من سرعة الجسم (ح) . نستنتج من ذلك أن الامتداد والحركة ليسا كافيين ، ولو كانا كافيين لما كان يجب أن ينقص من سرعة (ح) وحركته إذ أن يوجد في المادة شيء غير الحركة والامتداد وهو القدرة المدخرة التي هي عبارة عن قوة تتصف بها الأجسام ولا يمكن الاستغناء عنها فهي قوة كامنة تسمى (الموناد Monade) فهي جوهر روعي تتكون من الأجسام وبواسطته يمكن تحليل المقاومة أما كل من دافع عن نظرية القدرة فإنه يستبدل أجزاء الآتوم بالقدرة وهي الحقيقة الجوهرية الكامنة في قلب كل الأشياء . فقد قال (أوسفالد) : عند ما نصاب بعضاً فهاذا نشير ، أبا المصا أم بالقدرة ؟ بالطبع نشير بالقدرة التي هي الشيء الإيجابي الثابت الموجود في كل الأشياء . وهي ليست واحدة في جميع الأجسام ؛ بل تتصف بأشياء مختلفة متناسبة مع شخصيتها وخواصها النوعية . والصعوبة في ذلك هي أن قوة تصدر هذه القدرة هل هي مركبة من عناصر بسيطة بقوة الإرادة كما يظن (هوكلي Huxley) ؟ على أن القدرة الفعالة لا يمكن أن تعتبر إلا كالة شعورية فقط ؛ وهذا يمكن أن يظهر غريباً . ولكن إذا حاول الإنسان أن يفهم عن القوى المنتجة الواحدة منها نحو الأخرى يرى أنه يدركهما كأنهما يتحركان الواحد نحو الآخر بسرعة ما . وعند ذلك لا يتصور إلا الحركة تاركة القوة جانباً . وأما أن يتصور كل جزء كأنه مصحوب بشيء يشابه حالته كالة الإرادة وهو يعلم هذه الجهة . ونحن نشك أن صعوبة التفكير بالقوة شيء غير مقابل بالإرادة . فليبر إذن يقترب من الحلول الأخيرة عن طبيعة المادة (انتهى بحث المادة) دمشق محمد حسن النعناعي

حرارة ولا لون ولا صوت . فهو يؤكد أنه لا يوجد شيء عسوس في هذه الحقيقة الوجودية التي سماها جوهر أفرد . لذلك قال : إن الجواهر لا كيفية فيها بل هي كمية ؛ فهو يترجمها من صفة حية . ويمكن اعتبار نظريته هذه كتجربة أولى علمية لتوضيح الأشكال بصورة أولى ميكانيكية . ومن أشهر الفلاسفة الذين طبعوا على غرار ديموقريطس هو (أبيقور) فقد نسج في ذلك على منواله وزاد عليه بإعطائه الجوهر الفرد قوة الانحناء أي جملة يستطيع أن يغير الجهة التي يتحرك فيها إذ جعل فيه قوة خاصة والشكل الآخر الميكانيكية هو نظرية (ديكارت ، وسبينوزا) اللذين يعتقدان أن جميع خواص الأجسام يمكن إرجاعها إلى الحركة . ومن هنا نشأت جملة ديكارت المشهورة (أعطى حركة وامتداداً وأنا أكون العالم) . ولكن هذا القول يحتاج إلى برهان بل إلى براهين ؛ فديكارت يعتقد أن الحركة والامتداد هما النصران الفعالان في تكوين هذا العالم ؛ وقد أنكر بذلك قدرة الآلهة وأثبت الفاعلية لأحد مخلوقاته الذي لا يستطيع أن يغير حالة سكونه بدون قوة إلهية تسيطر على الامتداد وتهيمن على الحركة فتنبعث فيها الحياة . ويظهر لنا أن رأى ديكارت فاسد ، وإن كان قصده بالامتداد المادي عن كل صفة حسية كالحرارة واللون أي هو الجيز الهندسي الذي لا يوجد فيه آتوم حسي بل هو الفراغ اللانهائي ولقد تطورت الميكانيكية بعد ديكارت تطوراً هاماً ؛ ففي العصر الحاضر ، ليس الجوهر الفرد كما كان عند ديموقريطس وأبيقور بسيطاً لا يتجزأ بل هو مختلف عن رأيهما كل الاختلاف . فبدأ الاحتفاظ بالقوة وتناقض القدرة وخاصة تشعع الراديوم هو الذي جعلهم يعتبرون الآتوم مركباً من الألكترونات السالبة التي تدور حول عقدة مركزية Noyau موجبة ومسافات كمناسبة بعد الأرض عن الشمس ... فإنهم يكادون يرجعون كل الأجسام إلى عنصر واحد ، حتى أن (غوستاف لوبون) قال : إن هذه الآتومات تسبح في أنيرسيال غير مادي تتكون منه جواهر الأشياء يستند أصحاب هذه النظرية إلى الاحساس ، فقد قال أحدهم (هملولز) إن الاحساس نسي ؛ فكثيراً ما يكون المؤثر واحداً ويختلف الحساسية ويختلف الاحساس وبالعكس . فالاختلافات الظاهرة في العالم الحسي ناتجة إذن عن اختلافات الحس الموجود . لذلك قيل : إن عنصر الأشياء هو واحد ؛ ولهم أدلة أخرى يصلون بها إلى إثبات وصف الحادث وهي التجارب التي قام بها (هوبكنس) و (دوفريل) و (آرافو) وهي مسألة الاهتزاز والانتشار للتور . ولكنه ظهر أخيراً أن النور يكون بالتموج



أقصصة من ٥ . سناكبول

أحلام فضية للأستاذ دريني خشبة

من نجوة^(١) (بون بك) يشرف الناظر على مرأى عجيب من رؤوس الآيك النائم في الغابة ، والحياة الدائبة الصاخبة في الوادي ، وأبراج (تور) المنطبعة في أديم الأفق ، والشعاب اللثوية بين الدوح الجبار ... ثم ... هذه الرقائق من الفضة تنساح في مجرى اللوار ، راقصة على رنين التوافيس من فيروفلای ، مضطربة تحت أقدام أوليان ، متلاشية في لانهاية البعد عما يلي المنبع ... في شفاف السنين

ومع ذلك ، فلم يكن فوق بون بك غير سنديانات أربع ، منهن دوحة جدّة ، عظيمة الجذع ذاهبة الأفنان ، وإن يكن قد نخرها الزمان ، ونامت قرونها في الكهف الكبير الذي احتفرت في أصلها ... ثم شجيرات حديدات تنفع في الربيع ، وتنضر في الصيف ، وتتجرد فيما سوى ذلك من فصول السنة . ولم تغير الثروة شيئاً من معالم هذا الغاب ، على كثرة ما غيرت من معالم فرنسا ، فهذا هو الممجوز المتداعي «جين كابوش» ما يزال يقطع الخشب من الغابة ويحمّله إلى شاتود نيقر ، وما يزال يمالج الشجر ويصيد الأراف ، ويؤدي الأعمال التي كان يؤديها أبوه وجده من قبل ، والتي كان يؤديها آباؤه الأولون ... وإن له لآباء أوليين يتلاشون في لانهاية الأزل ، كما يتلاشى اللوار في ظلام السنين ... فإذا قدر لك مرة أن تلقاه في أحد شعاب الغابة ، نقيت رجلاً من القرون النابرة لا يعرف عن زماننا شيئاً ، ولا

(١) النجوة والبجا واللجى والنجر ما كان أكبر من البروة وأصغر من الجيل

تربطه بالعصر الحديث رابطة ؛ وكذلك تلقى بنته الجيلة الساذجة المذراء ماري ، التي إن حدثتها حدثت قطعة من الغابة لا تدرى ما وراها ... على أنها مع ذاك تصيبك وتفتتك ، وتسحرك بجملها العميق اللغز ، وتتأرجح في نفسك وقلبك كما تتأرجح البنفسجة الفيحاء ، لا تدرى من أين يسبك جمالها

أما أبوها - المم جان - قفروى - لا ، بل ربنى قح ، يحسبه من يلقاه ناي الدوق ، جاني الطبع ، لأنه لا يعرف قوانين التقاليد التي تفرضها حياة المدن على سكانها ، ومن هنا عدم تمييزه بين طبقات الناس ، فهم جميعاً سواء عنده ، حتى رئيس الجمهورية الذي كان يجوب غاب فيروفلای مرة ، فلقبه

بغياه ؛ وكان جان يحسب كاساً من الخمر ، فلم يلتفت للحاكم الأعلى حتى أتى على النسطف الآخر في الكأس ، وبعد أن مسح فيه بكمه ، وبجشاً وتمشّق ، قال للرئيس : «أجل ، أعرف أنك الرجل الذي يختاره الفرنسيون ليشل دور الملك في باريس» .

وماذا تنتظر من جماع أحطاب وإنسان غاب أن يقول غير هذا ؟ وربما كان للأسطورة التي تناقلها آل كابوش أباً عن أب ، وجداً عن جد ، في طویل الأزمان والآباد ، أثر في هذه المنهجية التي تبدو أحياناً في أخلاقهم . ذلك أنهم كانوا دائماً يفخرون أن ملك الغابات في الزمن القديم كان رئيس قبيلتهم ... فإذا كلم جان رئيس الجمهورية بهذه اللجة ، فأحسب بالرئيس أن يشكر

الله ، لأنه فرد عادى جداً إذا تيس بجان سليل ملوك الغاب ! !

ما كان أجل الأصيل فوق البون بك وقد جلست ماري الساذجة فوق المشب الحلو ، تحت السنديانة الكبيرة ، تعمل بأبرتها في جورب الصوف الخشن الذي كانت تباع ما تصنع منه في نهاية كل شهر لبازين المجوز تاجر الملابس في بورجه ! لقد كانت تتحدث إلى عنبرها المربوطة في جذع السنديانة كما نجت من العمل ، كما كانت تفتي بصوتها الرنان الجليل فتعمر

الغابة المنشية بأحائها ، وتمتلئ أجواء الوادي الساكن بأغانها الطورينية الحبيبة ، التي لم تعرف النوتة ، ولم تأخذ طريقها إلى البيان ، بل احتفظت بريفيها المقدسة لتخرج من فم ماري ، كما تخرج موسيقى الملائكة من قديم السماء !

ما كان أجل الأصيل فوق البون بك حين جلست ماري فوق عتبة ، وقد أخذ الخريف يواسي الناس بأنفاسه الريمية ، وقد راحت مارجوت — المنز السعيدة — تهضم الحشيش الخلوصة ، وتصني إلى غناء ماري أخرى ... وماري ، فيما بين هذا وذاك تعمل أاملها في الجورب الذي أوشك أن يتم ، لتتم به الاثنا عشر جورباً ، ولتنتقل بها فتاة البون بك إلى التاجر بازين فتسلم منه ثمنها ، وتمود بالحلوى والفطير فتملاً فم مارجوت !

لقد جلست ماري تعمل وتغنى ، بينما كان السادة الباريسيون أصحاب القبروفلاي ، وأصحاب قصرها اللئيف اللئيع الذي تأخذه العين في أفق الغابة فترى منه أبراجه الشواهي ، يصيدون الأرناب في الثائب والمسارب ، ويطلقون بنادقهم على القناقد والثعالب ، فتزداد طقاتها في أذن ماري ، وتثير في قلبها الصغير شتى الهواجس والأفكار ...

« الإبرتان الشقيتان ! » هكذا كانت الفتاة تفكر ...
« لا بأس ، صبراً يا بازين صبراً ، ما قد أوشكت أفرغ من هذا المئاء الذي تشتريه مني بفرنكات مهددة لانكاد تكفي ثمناً لمسح حذاء واحد من سادتنا ... أوه ! بالك من عقدة خبيثة ! إذهي إلى الشيطان ! ألا ما أصعب إصلاح العقدة المختلطة ! إنها كاللغز الذي لا يمكن حله ! ما هذه الطلقات النازية ياسادة ! ! إرحموا الثعالب والأرناب ، وإرحموا أبي جان السكين ! ماذا يصيد هو إن لم يبقوا على أرناب واحد ! هذا بلاء والله ! أوه ! وإرحمك لك يا أبي ! إن صيد أرناب أو أرنتين أيسر عليك من قطع علوج واحد مع فرق ما بين الأجرين ! الأغنياء ! الثروة التي لا يحصيها عد ! ... الخ ... »

وسمعت الفتاة صوت بوق يدوي في آفاق الغابة شغلها عن إبرتها ، وعن غنائها ، وعن مارجوت ... وعن كل شيء ... حتى عن هذه السلسلة غير المنتظمة من الأفكار الفضولية التي كثيراً ما تردحهم بهارثوس الناس ، لأتفه ما يثيرها من الأسباب وأرسلت عينها في شباب الغابة مرة ، وفي مسایل اللوار

أخرى ، فرأت السادة الأغنياء قد فرغوا من صيدهم ، وقد حمل خدمهم أحمال القنص على خيول ضخمة ، وانطلق الجميع بمدون نحو القصر المنيف ، كما تمدد السهادر أمام العين المشواء ، وكما تنطلق أحلام الثائم في كل صوب ... حتى غابوا عن بصرها وعادت ماري إلى إبرتها بمد إذ ثابت إلى نفسها ... وبدأت تعمل وتغني من جديد ! ولم تكدر تفعل حتى سمعت صوتاً حنوناً يهتف بها ، فأرسلت عينها في كل حدب ، ولكنها لم تر أحداً ... وارتبكت هذه المرة ، وحاولت أن تعمل ، ولكن العقد اختلطت أكثر من ذي قبل ، وعاد الصوت الحنون يهتف وينادي ... ونظرت ماري ، وبحتت بعينها في كل مكان ، فإذا بنيل من السادة الصيادين يتادها في السفح البعيد ، ويشير إليها بيده الأمرة أن تذهب إليه

لم تتحرك ماري ، بل ظلت ساكنة صامتة ... وكأنها غيظ النيل من سكونها ، فتمز حصانه الكبير غمزة فانطلق يطوى النجوة صعداً في غير ميالة ، كأن الدنيا بأسرها ملك له ولأجداده الخيول من عهد عاد ! حتى الخيل تعرف الصفاقة أمتاع ما يعرف النبلاء ! لقد كان رجلاً عملاقاً له مهابة وفي عينه نيل ، وله لحية خفيفة فوق صدغيه قد وخطها الشيب فجعلها سنجابية حائلة كلون السحب في أوائل الخريف ... وكان عربض النكبين يبرز الصدر واسمه ، عظيم القامة ، يشغل الناظر إليه عما يلبس من غريب الثياب التي تتخذ للصيد في ظب فرنسا ... فلا خافية النسر التي راح النسيم يداعبها فوق مفرقه ، ولا الجوارب الجلدية وما فوقها من أخفاف ، ولا هذه السراويل الفضفاضة التي تنطى ظهر الجواد ، ولا تلك القفازات اللامعة التي تحجب يديه ، ولا هذه النياشين التي تتوهج فوق صدره ، والقلائد الذهبية التي تتحوى حول عنقه ... لا شيء من هذا أو ذاك قد يهر عين ماري كما يهرها هذا الجسم المرقط ، وذاك الوجه الصارم ، والرجل العملاق ! واقترب الجواد بمن عليه ...

وتبسم النيل وكأنها كانت الدنيا كلها تبسم معه ، وحيّاً ماري ، ثم قال :

— « قصر قبروفلاي يا جميل ! قصر قبروفلاي ! أنت يستطيعين أن تدليني عليه ، أو تعلميني الطريق التي أسلكها لأبلغه ؟ لقد ضاعت

— « اذن ، هلي !

وانطلقا نحو السفح ، ثم مضيا في طريقهما ... هي الى جانبه ،
أو في ظله ! وهو ، وحصانه من ورائه ، ينظر صامتا . ساكنا

وفكرت ماري في اللجة التي كان يكلمها بها فشاع فيها
نوع من الزهو ، ثم اتسع خيالها فوفقت أنه أحبها ، بل هو يكاد
يسدها ، وكان هذا الاحساس غلا الدنيا في عينها سعادة ، وفي
قلبها نهجة ... وعرفت من ثيابه ومن منطقته أنه ليس من هذه
الجهة من جهات فرنسا ... قد يكون ضيقا على آل فيروفلای ...
على كل حال هو ليس من هذا الأقليم ...

وأخذ الرجل يخلق الأحاديث ليرسم صوت ماري ... هذا
الصوت الموسيقي المذب الذي كان يغلا سمعته وينفذ إلى أعماق
قلبه كأنه رفين القبل ! وكانت هي تحب في ظرف وتبه وأدب ،
فتخبط لب الرجل ، وتذيب نفسه الوامقة بما تكسر من مخارج
الكلمات ، وما توشى في أواخر الجمل ، كأنها الريح الفينان يثر
وروده ورياحيته في أكتاف الحديقة !

ولقد كان القصر على بعد فرسخ أو نحوه من النجوة ، ولقد
كان قصرا عتيقا من عهد شارل التاسع ، ولكن النابة كانت
مع ذاك أقدم منه عهدا ... بل كانت هي هي النابة منذ كانت
هناك غابت في جنبات فرنسا ، ومنذ كان جد ماري ملكا عليها
في بطن الأزل !!

وذكرت ماري هذا الجد الملك ، فسرى في أعطافها الكبر
التقديم الذي ما يفتأ يسرى في أعطاف آبائها وأهلها ... وللحال
أمنت أنها جذيرة بقلب هذا النبيل ، وأنه سيكون غورا بها !!
ونظر النبيل إلى جنبات النابة فتغيرت في عينه صورتها
الجافة الخريفية التي انطبعت فيهما منذ الصباح ، وصارت جنة
فيحاء آهلة بالخور العين أمثال اللؤلؤ المكنون ، منضورة بالورد
عبقة بأريج الراحين كهذه الجنة التي وعد المتقون ! لماذا ؟ لم يدر
الرجل ... لكنه كان يؤول كل ذلك بوجود ماري الجليية إلى
جانبه ... ماري ، التي غيرت نظره إلى الحياة ، فجعلتها مشرقة
باسمة ، بعد أن كانت قفطيرا كالحة ، لا تصلح لهذا البعث الذي
كان يقرأ عنه في الكتب ، والذي سماه الشعراء بالحب ...

ولم تزل ماري تسلك بالرجل في هذا المنعرج وذاك المنعرج ،
ولم تزل تسير به في مثاه كثيرة ، وتخطو به في فجاج كاهن مصائد

سبيل في شعاب غابتكم المصلة ، فهل لك في أن تصحبيني ، يا غادة ؟
لقد نظر النبيل إلى ماري فحمد الله والصدق أن ضلت سبيله ،
ليلقى هذه الجنة الريفية الحسنة في هذا الأصيل الجليل من أصائل
الخريف ، وفوق هذه النجوة الناضرة المطلة على الغابة الشاسعة
جميعا ... ولقد كان يبلغ ريقه مرة بعد أخرى وهو يكلمها ،
وكان يكلمها بعينه الجائنين ، أكثر مما كان يكلمها بلسانه
اللاهت الظاني . ، وكان يحس قلبه وهو يخفق ويخفق ، كأنما
يتنى أن يثب إلى عيبيه ليشبع من سرمد ماري هو الآخر !!
يا لسحر الجمال ! لقد عجب النبيل كيف عاش عمره الطويل المغم
بلا حب ، وفي الدنيا العريضة مثل هذه الفتاة التي تسجد تحت
قدمها القلوب !! لقد جعل جسمه يرتجف فوق الجواد ، وجعل
يقلب عينه في الفتاة التي انمكنت على وجهها آراد الشمس الفاربة
فصبغته بالذهب ، وتركت في جبينها وخديها سقما من الحب
يشبه الشفق ، يزيد فيها الصغير الخبيث اشتعالا !

« أوه ياسيدي ! إنه هناك وراء هذا الدوح ، وهو قريب
جدا من هنا ... أنظر ... ها هي ذى أبراجه تلوح وراء النصوص
العارية ... ثم ها هي ذى الطريق واسعة بيضاء ! »

وكانت ماري قد نهضت من مكانها وهي تقول ما تقول ، وتشير
بيديها ، فيحسر الكتمان عن مرمى الدراعين اللدتين ، وطرف
الثوب عن جزء من الساتين الجليتين ، فيجن جنون النبيل الجليل !
وفي الحق ... لقد خفق قلب ماري هو الآخر ، لأنه أحس
بما ينبعث من عيني الرجل من الصبوة والشفق ... وما كان
يسيل في أفاظه من الرقة والضراعة ، وإن لم يعبر عنهما إلا بهذا
الروح الذي يفهم من غير أن يرسم !!

ووثب الرجل من فوق جواده ، ووقف قريبا من ماري ،
ثم راح ينظر في الأفق ويتعاشى ويقول :

— « أجل ... ها هي ذى أبراجه ! ولكن أتي لي أن
أهتدي إليه في غابتكم المصلة ... تعالي يا صغيري فدليني عليه ...
إني أخشى أن أبيت ليلي في الغابة مع أرائكم وثمانيتكم !
— « بكل سرور ياسيدي ... لا أحب إلى من أن
أفعل ... هلم !

— وهذه المنز ؟ أتركها هنا ؟

— « أوه ! ان ما رجوت تنتظري هنا ياسيدي ! وأين
تذهب ما لم أعد إليها ... ثم هي مربوطة مع ذلك !

— ليس في حافظتي إلا هذه ... لتكن تذكراً مني على كل حال !

— تذكراً أحتفظ به إلى آخر رمق في حياتي ياسيدي !
— « أوه ! داعياً ياسيدي ياسيدي ! ناديني باسمي المجرد
ياماري ! أنا أدعى هنري ... ليت لي مثل سنك ياماري ! ليت لي
مثل سنك ! »

— حبسك قلب مثل قلبي يا ... ه ... ه ...
— هنري ... ماري ... ماذا بك ...
وجملت الفتاة تبحث الأرض بينهما مرة ... وتحقق بهما
في وجه هنري مرة أخرى ... ثم تناول الرأس الصغير مرة
ثانية فطبع عليه قبليتين حملتا سر قلبه ، وودعها وهو يقول لها :
— هنا ياماري يجب أن نلتقي الليلة بعد أن يشرق القمر !
وأومات ماري برأسها الصغير ... وانطلقت تعدو كالمتجونة
في ظلام النوبة ...

ولم تفتأ ماري تستعيد الذكريات الحبيبة التي لم تمض عليها
هنيهات ... ولم تفتأ تردد هذه النداءات الجميلة « يا جيلتي ...
يا صغيرتي ... أوه شيري ! يا عزيزتي ... إلى هذه المتردقات
التي يحتل بها قاموس الحب ، وألواح النزل الإلهية المقدسة ...
هل هو حلم ؟

نبيل من أمائل نبلاء فرنسا يجب هذه الرقيقة الساخجة التي
لا قيمة لها إلا مسحة من جبال ؟ هذا النبيل العظيم الذي يملك
أن تكون له جنة من حسان باريس ، تشغفه هذه القروية من
بنات الغاب ؟ بل هو حلم ... بل هو حلم !

وعادت إلى البون بك ففكت رباط مارجوت ، وحلت سلة
أشغالها ، وعادت أدراجها إلى كوخ أبيها مصدعة القلب ، واجمة
الروح ، كاسفة البال ، لا تفكر إلا في هذه اللحظة الناعسة التي
لقيت فيها هذا النبيل .. أو لم تلقه .. لأنها ظنت أنها كانت تحلم !
وأقبل أبوها فأعدت له عشاءه فالتهمه ، ثم انبطح على فراشه
الحسن لم يلبث أن نام ، وراح ينفذ في سبات عميق
وجلس هي في غرفتها يحتر أحلامها ، وتصور الحوادث
الأكبر التي زعمته حدث لها ... ولكن رنين القبل على ...
جيبها .. ! كان ما يزال يرن ويطن .. والنداءات الغزلية كانت
ما تزال تتردد في مسمعها ...

ونفاخ نصبا أبوها للأرانب ، حتى وقفا آخر الأمر لدى بوابة
عتيقة ... هي من غير شك أعنت من القصر الذي تؤدي إليه
وأذهب منه في الليل

وكانت البوابة صغيرة واطشة ، فصاحت ماري فجأة وهي
تقول : « أوه ياسيدي ! لن يستطيع حسانك أن يدخل من
هنا ... أوه ! لقد نسيت ، ليتني ذهبت بك إلى باب القصر ! »
فتضاحك النبيل ثم قال : « ليس هذا شيئاً ... إلى ساربطه
هنا ، وهو ينتظرنى كما تنتظرك ... ما ... ما ... ما اسم عزيزك ؟ »
— مارجوت ياسيدي
— مارجوت ! إي والله مارجوت ... ولكن ما سنك
يا ... عزيزتي ؟

قال ذلك وقد أرسل أصابعه المرتعشة تربت تحت ذقنها الجليل
وعينه للشوقين تسبحان في جبالها الريان !
— أنا ! سني ست عشرة سنة !

— ما شاء الله ! سن فتيانة ! واسمك إذن ؟
وقال ذلك أيضاً بعد أن صعد آهة عميقة كادت تحرق
بجرحها صدره

— ماري ... ماري ياسيدي !
— ماري ! ماري ! وحسب ! ؟
— ماري كابوش ياسيدي !
— ماري كابوش ... حسن جداً ! ماري كابوش اسم جميل
ظريف ، بيد أنني سأطلق عليك من الآن اسم (زهرة الغابة !)
ثم تقدم فأخذ رأسها الصغير في يده التخاذلتين ، وطبع على
جبينها قبلة عميقة حارة ، استودعها كل أمانى جبه ، ثم دس يده
في جيبه وقال :

— « والآن ... تقبلي مني هذا القليل ... من ... الذهب ...
لذكرك ... لا للفائدة ! » ولما نظر في حافظته لم يجد بها إلا
قطعة فضية واحدة ... وحجته ماري بينين جريبتين ثم
صاحت به في رقة وحسب : « أوه ياسيدي ! ليست لي حاجة إلى
قهود فأذكرك بها ... إلى ساد كرك إلى الأبد ... لن أنساك ! »
وانتلأت عيناها بالدموع فجأة ... وأحست بقلبها يرتعد ويخفق ...
وودت لو استطاعت فهربت في شعاب الغابة ، لولا أنها نظرت
إلى الرجل فوجدته مثلها ممثلي العينين بالدموع ... وصدره يعاو
وسهبط ، آية على ما فيه من مثل ما في قلبها !



العربية والانكليزية

كتب كاتب في جريدة « الأجيثيان جازيت » عن تعلم المصريين اللغة الانكليزية يقول إن المصريين في مقدمة الشعوب التي تتقن التكلم والنطق بالانكليزية، ولكنهم لا يصلون في ذلك إلى براعة السويديين والهولنديين وإن كانوا يفوقون الألمان والفرنسيين في ذلك بمراحل؛ ويرجع ذلك إلى أن الطلبة المصريين يتلقون اللغة الانكليزية في مراحل الدراسة الأولى من الأساتذة الانكليز أنفسهم، ويخصصون لدراستها في الأسبوع عدة ساعات، وبذلك تتاح لهم فرصة ملائمة لتلقي نطقها ولهجتها من أبنائها الأصليين، وبذلك ينجون من اللجات الغريبة التي تخالطها أحياناً في البلاد الأخرى

وفي قول الكاتب كثير من الصحة، ولكننا نستطيع أن نزيد على قوله أن الطلبة المصريين لم يلقوا في تحصيل اللغة الانكليزية ما كان حقيقياً بهم أن يلقوه في مثل هذه الظروف

والفرص الملائمة، فالخصص التي تخصص لتدريس الانكليزية في مدارسنا الثانوية تكاد تعادل الحصص التي تخصص للعربية، ومع ذلك فقد لوحظ أن الطلبة يلاقون في تعلمها صعباً شديداً، وأنهم ما زالوا في تعلمها في مستوى لا يبعث على الرضى. وقد كان لهذه المسألة حجة في العام الماضي اهتم لها رجال التعليم والمسؤولون من رجال وزارة المعارف

على أن الذي نريد أن ننوه به هنا هو أنه إذا كان للمصريين حظ من إتقان اللغة الانكليزية سواء في التحدث أو الكتابة بها فإنه من بواعث الأسف أن يجيء هذا الإتقان في أحوال كثيرة على حساب اللغة العربية. وإذا كان ضعف الطلبة في اللغة الانكليزية قد لفت نظر المسؤولين من رجال التربية، فإن ضعفهم في اللغة العربية كان أيضاً باعثاً إلى الاهتمام والنظر وفي رأينا أن اللغة العربية ما زالت مغبونة الحق في مدارسنا الثانوية، وقد كان طغيان الانكليزية والفرنسية على مناهج التعليم

وتلبثت ماري تنسم أثر هنري... لكنها لم تجد شيئاً... فمادت محطمة ذاهلة موهونة... واخترق الغابة وهي لا تخشى من أشباحها شيئاً... إذ ما يهمها أن يفترسها الدب أو يحرقها المفريت؟! لا يهم...

ورأت أنواراً ساطعة تبيت من الكوخ... وسمت فيه خجة... تخشيت أن تدخل... وظنت أن أباهما اقتنحها فلم يجدها فولت هاربة

ولكن هنري كان قد لحها من نافذة كوخ أبيها، فانطلق في إثرها.. ثم عاد معها إلى الكوخ لتناق أباهما الذي يقول لها: — « هنيئاً لك يا ماري... هنيئاً لك يا هنري... لك أكبر الشرف يا بني أن تكون سليلة ملوك الغاب زوجتك! »

وهكذا تحقق الحلم الفضي...
دمهني فشيء

وانهزم الظلام فجاء فهبته إلى النافذة فرأت القمر يبتثق من الأفق الشرقى، وبكسو بتورء الأحمر البركاني جوانب السماء رهبة. ثم ارتفع عليك الليل رويداً فابيض نوره، وجعل كلما ارتفع ينشر في الوجود أضواءه ولآلئه... فاعتزمت ماري أن تخرج إلى موعدها... ولو كان حلاً حقاً...

وانسرفت الفتاة في ظلام الكوخ الذي كان يملأه شخير أبيها النائم رهبة ثم انقلبت إلى الغابة... الغابة القضيبة الصامتة التي كانت حينذاك أشبه بمعايد المنود، فجعلت تنسرب في شامها وكلما تحرك غصن أو برز أرنب وجلت المسكينة وجلا شديداً، وهي التي كانت تحرس الغابة في الليالي المظلمة من الثؤبان والسباع. ثم لم تزل تسير في هرولة... ولم يزل قلبها يخفق ويدق... ولم يزل خيالها يعتلي بالخاوف... حتى كانت عند البوابة القديعة! وأأسفاه! تبدد الحلم الفضي... إن هنري ليس عندها!

الأجناس الدكتور تيودور منود مدير متحف التاريخ الطبيعي
باريس ، فأجاب بأن خواص الفلين في الججمة الشار إليها
توجد الآن عند كثير من فصائل الزنوج في أفريقيا الشمالية ، وفي
الصحراء الكبرى . وتاريخ هذا الانسان مجهول ، ويوجد بين
القبائل المغربية قبائل تحمل جاجها بمض هذه الخواص
وإذن فالمسألة ما تزال موضع البحث والتحقيق

جائزة فاروق الأول

استقر الرأي على أن يطلق على الجوائز التي اقترحها الدكتور
حافظ عفيفي باشا لتشجيع الحركة الادبية والعلمية : جوائز فاروق
الأول في الادب وفي غيره من الفروع والفنون التي يستحق
صاحبها من أجلها تلك الجائزة . ورأت اللجنة جعل الموضوعات
التي تدخل في نطاق الجائزة ستة تتصل بالحياة المصرية في الأدب
والقصص والاجتماع والتشريع والتعليم والزراعة

وتقرر أن تكون قيمة كل جائزة خمسمائة جنيه وأن يكون
التقدم إليها مرة في كل عامين . ورأت اللجنة وثيقاً لأواصر اللغة
وتوحيداً للثقافة بين أبناء الأمم الشرقية إباحت دخول المسابقة
في جوائز الأدب والقصص والاجتماع للشرقين من أبناء العربية
ودرست اللجنة طريقة اختيار المؤلفات ، وهل ينحى فيها
نحو « جائزة نوبل » أو يكتفى بأن يقدم الكتاب والمؤلفون
بكتبهم وتأليفهم مطبوعة طبعاً جيداً . وقد استقر الرأي على
الأخذ بالطريقة الأخيرة

وعند إقرار المبدأ تألفت اللجان الفنية المختصة كل عامين
لبحث ما يتجمع لديها في هذا الصدد . وقد لوحظ في جبل المدة
سنتين أن متاح الفرصة الكافية لكبار المؤلفين لإجادة ما يكتبون
وما يؤلفون

لجنة تنظيم الصحافة

يشتمل صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل بك وزير
الدولة ، يبحث المسائل التي درستها اللجنة الحكومية « لتنظيم
جمعية الصحافة وترقية شؤونها »

وقد استقر الرأي على أن يضم إلى اللجنة أعضاء جدد من
كبار الموظفين وأصحاب الصحف

وسيرأس اجتماعها القادم صاحب الدولة رئيس الوزراء

في الماضي مفهومًا ، وكانت لذلك ظروفه وبواعثه . ومن الحق أن
نقول إن هذا الانتثات على حقوق العربية في الماضي كانت له
آثار سيئة في تكوين الأسس التي قام عليها التعليم القوي في
العهد المتقضى ؛ ولكننا لا نفهم لماذا بقي هذا الانتثات باقياً إلى
اليوم بعد أن تحورت برامج التعليم من القيود التي كانت تحول
في الماضي دون تقدم العربية على سواها

إن تعليم اللغات الأجنبية الحية من العناصر الجوهرية في
تكوين الثقافات الحديثة ؛ ولا شك أن الانكليزية والفرنسية
من أهم اللغات الثقافية ، ولكن الذي نرجوه هو ألا يبقى هذا
العنصر الأجنبي كما كان في الماضي أداة للغزو الثقافي والمعنوى على
حساب اللغة القومية ، وأن يقتصر الأمر فيه على الاعتراف من
مناهل الثقافة والمرقان

هل كانت الفيوم منزل شعب في العصر الحجري

عثر النقبون أخيراً في بقعة أثرية على مقربة من بحيرة قارون
بمديرية الفيوم على ججمة بشرية قديمة جداً . وقد عرضت هذه
الججمة على العلامة الدكتور دري أستاذ التشريح بكلية الطب
المصرية ، فقرر بعد الفحص أنها لرجل بالغ ، ويغلب على الظن أنه
كان ضعيف العقل نظراً لضعف حجمها عن الطبيعي . على أن هذا
الفحص التشريحي ليس أهم ما في الموضوع ، وإنما المهم هو القيمة
الأثرية ؛ فقد عرفت هذه البقعة المجاورة لبحيرة قارون بأنها كانت
وطن شعب مصري قديم يرجع إلى آلاف السنين قبل الميلاد .
ووجد فيها العلماء النقبون ولاسيما العلامة الألمانى يونكر كثيراً
من الآثار التي تدل على أن هذه البقعة قد عرفت العصر الحجري .
ودلّ فحص الججمة الشار إليها من الوجهة الأثرية على أنها
لإنسان عاش منذ نحو ثمانية آلاف عام . فإذا صح ذلك فإن علم
الآثار المصرية بخطوة جديدة نحو معرفة التاريخ المصري
القديم . ذلك لأن قدم الوثائق الفرعونية التي عثر عليها ترجع إلى
نحو ثلاثة آلاف عام قبل المسيح أى إلى خمسة آلاف عام ؛ ولكن
هذه اللقطة الجديدة إذا عززت ببعض آثار أخرى توجد في نفس
المنطقة وتماثلها في القدم ، قد توجه أنظار الباحثين إلى مرحلة
أقدم جداً من تاريخ مصر الفرعونية
هذا وقد أحال الدكتور دري هذه المسألة إلى العلامة في

مهرجان الأدب في الزفاف الملكي

فكر جماعة من قادة الفكر وزعماء الدولتين الشعر والثر في اشتراك الأدب في ابتهاج البلاد بالزفاف الملكي ، وقد اجمع فريق منهم في مكتب حضرة صاحب العزة محمد المشاوي بك وكيل وزارة المعارف وتدارسوا هذه الفكرة ثم أقروها وافقوا على تأليف لجنة فرعية من بينهم لوضع برنامج المهرجان والاتصال باللجنة الرئيسية الممهودة إليها تنظيم حفلات الزواج الملكي . واستجتمع اللجنة الرئيسية على أثر فراغ اللجنة الفرعية من مهمتها لتضع البرنامج النهائي للمهرجان

المؤتمر الدولي السابع لتوحيد العقوبات

في يوم الأربعاء الماضي تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأناب عنه من افتتح المؤتمر الدولي السابع لتوحيد قانون العقوبات رسمياً في دار الأوبرا الملكية ، وفيما يلي بيان موجز عن تاريخه تألفت بعد الحرب العظمى أول هيئة اهتمت بتوحيد قانون العقوبات وهي الجمعية الدولية لتوحيد قانون العقوبات . ولما كثر عدد المشتركين فيها فكر ميسيو يلاسكوتير الجمعية العام ومندوب رومانيا الدائم لدى عصبة الأمم في عقد مؤتمرات لبحث الموضوعات التي تهتم بها الجمعية ، وكان أن أنشأ المكتب الدولي لتوحيد قانون العقوبات . وقد جاء في المادة الأولى من قانونه الأساسي أن غايته دراسة اقتراحات الدول والهيئات التابعة لمجلس عصبة الأمم والهيئات الخاصة الأخرى المؤدية إلى توحيد قانون العقوبات والقيام بالأعمال التمهيدية لتحديد المائل التي يمكن الاتفاق على توحيد القانون فيها ، والسعى لعقد مؤتمرات دولية والعمل على دوام الصلة بين أعمال المؤتمرات التي تعقد . وأخذ الاهتمام بأعمال المكتب يزداد ونفوذه ينمو حتى أصبح لاكثر الدول مندوبون فيه

وقد عقدت ستة مؤتمرات في بروكسل وباريس وفارسوفيا وروما ومدريد وفي كوينهاجن على التوالي . وأولها مؤتمر بروكسل وقد عقد في سنة ١٩٣٧

مهرجان التعاون الفكري وشعب في مصر

كانت وزارة المعارف قد عهدت إلى عميد كلية الآداب زيارة المعهد الدولي للتعاون الفكري في خلال الصيف الماضي ووضع

تقرير عنه ، وقد رأى أن يبحث الأمر مع صاحب السعادة على الشمسى باشا ممثل مصر في جامعة الأمم قبل وضع تقريره ومتى تم وضع هذا التقرير بدأت الشعبة المصرية عملها . وقد صدر قرار وزاري بتأليفها من حضرات أصحاب السعادة والعزة وكيل وزارة المعارف ، ووكيل الخارجية ، ووكيل الحفانية ، ومدير الجامعة المصرية ، وعمداء كليات الجامعة ، ورئيس المجمع اللغوي ، وناظر معهد التربية للبنين ، وناظر دار العلوم ، ومدير مصلحة الآثار المصرية ، ومدير دار الآثار العربية ، وأمين المتحف القبطي ، ومدير دار الكتب المصرية ، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ورئيس الجمعية الجغرافية الملكية ، ورئيس الجمعية الملكية للاقتصاد والتشريع ، ورئيس الجمعية الطبية المصرية ، ورئيس الجمعية الزمكية ، ورئيس المجمع العلمي المصري ، ورئيس المجمع المصري للثقافة العلمية ، ورئيس جمعية محبي الفنون الجميلة ، ورئيس جمعية علم أوراق البردي ، ورئيس الجمعية الصحية المصرية وقد ترك للأساتذة أعضاء الهيئة اختيار الرئيس والسكرتير الفنى لها من بينهم . وسيكون أول عمل تقوم به وضع اللائحة الداخلية لتنظيم الأعمال حتى يصدر بها قرار وزاري من معالي وزير المعارف

حول جائزة جونغكور

لاحظ بعض الأدباء كما لاحظت المكشوف أننا ذكرنا في باب البريد الأدبي في عدد سابق أن الكاتب البلجيكي ش . بليسينيه نال جائزة جونغكور في العام الماضي عن كتابه (أزوجة) مع أنه نالها عن كتابه (جوازات ضرورية) . وهذا الخبر نقلناه عن ملحق الأحد الأدبي لجريدة Neues Wiener Tagblatt النمساوية لمراسلها الباريسي . وهو صحيح ولكنه ناقص . وبيان ذلك أن بليسينيه رشح منذ العام الماضي لنيل الجائزة بروايته الأزوجة Mariages ، ولكن ترشيحه أرجى يومئذ لاعتبارات تتعلق بجنسيته لأنه غير فرنسي . وفي هذا العام قدم روايته الجديدة Faux Passports وانتهت أكاديمية جونغكور إلى مبدأ جديد في مسألة الجنسية ، وقررت أن تمنح بليسينيه الجائزة عن روايته المذكورتين . وهذا هو ما صرح به رئيس الأكاديمية ميسو روزنى Rosny نفسه في خطابه يومئذ



السينما والأدب

بقلم محمد علي ناصف

في عامي ١٩٣٢، ٣٣ كان الفلم البوليسي أكثر أنواع الأفلام شيوعاً وأوفرها غلة على أصحاب الشركات وفي عام ١٩٣٤ اختص بمربة النجاح الأولى الفلم الموسيقي، وجاء دور الفلم التاريخي في الموسم التالي ثم كان الطابع المميز لإنتاج الموسم الماضي أقدام الشركات على إخراج الأعمال الأدبية الكبرى؛ فشهدنا « حلم منتصف ليلة صيف » و « روميو وجوليت » لشكسبير و « البعث » و « أنا كاريتينا » ثولستوى و « دافيد كوبرفيلد » و « قصة مدينتين » لديكنز و « موت بركيستو » و « الفرسان الثلاثة » لاسكندر دوماس الأب، و « غدة الكاميليا » لدوماس الابن - و « جحيم دانتى » وغير ذلك من الأفلام التي لم تمرض للآن في بلادنا مثل « الجريمة والمقاب » لستوبسكى، و « كما تشتهي » لشكسبير.

إذا تتبع القارى هذا البيان المجلتين حقيقة فامعة : تلك أن السينما تتطور من حين لآخر، وأنها تأخذ في تطورها اتجاهات ثقافياً يقرب إلينا معنى السينما وما تستطيع أن تحققة من آمال كبار

لقد كان كثير من الأدباء والفنانين في أول عهود السينما يترفعون عن العمل من أجلها ويحسبونها سلعة ذات بهرج لاصلة لها بالفن، حتى صرح بعض كبار الكتاب ومن بينهم الكاتب الإنجليزي جورج برنارد شو بأنهم لم يسمحوا بإخراج كتبهم على الشاشة. وقد كتب لويجي

بيرانديللو مقالاً في إحدى المجلات الأدبية عام ١٩٢٧ يحاول فيه الإقناع بفشل الفلم الناطق واليوم يتهاوت كل كاتب وفنان على السينما، ولا نستثنى أشدم غلوأ في المحافظة والاتزان. فبرنارد شو نفسه لا يشغله الآن شاغل أكثر من إعداد مسرحيته « جان دازك » و « بيجاليون » للسينما. فإذا علمت أنه قد أخرج له قبل ذلك مؤلفان ولم يلقيا نجاحاً يذكر، إذا علمت ذلك، أدركت قوة إيمان الكاتب الساخر بما كان يسخر منه ولقد يعجب القارى كذلك لو علم أن برنارد شو قد ظهر في فلم طويل مع زميله جون دونكوتر وسيراوسن تشمبرلين مناسبة حفلات ترويج ملك الانجليز ولقد أذيع أخيراً أن مستر دنسن تشرشل قد كلفه ألكسندر كوردا بعمل سيناريو عن حياة لورنس المروف بإتصاله بقضية العرب

ويعد ه. ج. ولز الكاتب الإنجليزي البتدع في طليعة الكتاب اهتماماً بالسينما؛ فقد أخرج له ثلاثة كتب في العامين الأخيرين كتب هو بقلمه سيناريو أحدها Hings to Come



برنارد شو يتحدث إلى وندى هيل التي تمثل دور البطولة في فلم « بيجاليون »

كل هذه أمثلة أسوقها للتدليل على أن السينما قد أخذت
تتخرج بالأدب وتتصل به اتصالاً وثيقاً وإنها وإن كانت متعة
الجاهل، فهي كذلك متعة للخاصة لا يعدلها شيء.



ج. ج. ولز في منفاة الطفلة المثلة شيرلي تيمبل بهوليوود

والسؤال الذي قد يتردد هنا : « ما مصير المسرح الآن ؟ »
محمد علي ناصف

نتناكر يا ابت

سوانح من الشعر المنشور

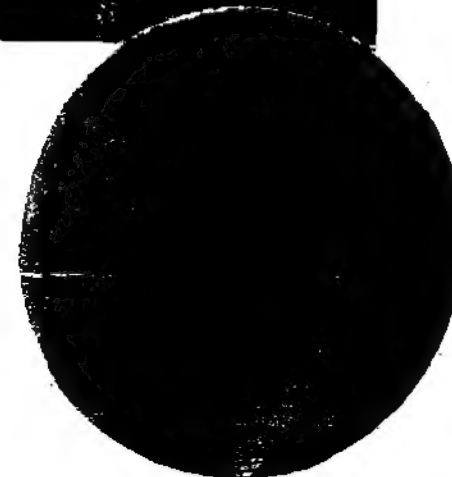
بقلم

عبد المجيد مصطفى خليل

يطلب من مكتبة النهضة بشارع الدابغ وثمنه خمسة قروش

ومثله نويل كوارد وإن كان هذا الأخير قد انفراد بتمثيل
دور البطولة في فلم أمريكي لم يعرض إلى الآن بمصر The Scoudrel
ونال كل من الفيلم ومثله نجاحاً كبيراً

ولقد شاهدنا أخيراً الموسيقار ليوبولد ستوكوفسكي وأوركستراه
الشهير في أحد الأفلام ، كما أن شركات السينما لا تدع جهداً في
سبيل التعاقد مع كل فنان يصلح مادة للسينما . وقبلنا بظهور في عالم
الفن كتاب أو مسرحية ناجحة دون أن تلقى اهتماماً من أحد
الرواد . حتى لقد قيل إن إحدى الشركات رافها عنوان مسرحية
فدفعت من أجل العنوان أربعة آلاف جنيه ولم تحفل بالموضوع
ولا أنسى في هذا المجال الكاتب الفرنسي مارسيل بائيول
صاحب « توباز » الذي ألف شركة سينمائية لإخراج كتبه



مستر ووتن تشرشل الذي يضع الآن سيناريو عن حياة الكاتبة لورنس
من شخصيات الثغور له الملك فيصل